

الجغرافية الاستراتيجية للمملكة السنارية

(1504 - 1821م)

أستاذ مشارك - قسم الجغرافيا - كلية التربية -
جامعة الزعيم الأزهري

د.آمال جاد الرب علي فضل المولي

مستخلص:

تناول البحث الجغرافية الاستراتيجية للمملكة السنارية (1504-1821م)، هدف البحث إلى التعرف على الاستراتيجيات التي أتبعها القبائل العربية ببلاد النوبة قبل بداية نشأة المملكة السنارية، وكذلك التعرف على الاستراتيجيات التي أتبعها ملوك المملكة السنارية عند بداية النشأة وأثناء حكم المملكة، كما هدف البحث إلى تحليل عوامل الجغرافية الطبيعية والبشرية الاستراتيجية التي ساهمت في بناء المملكة السنارية مملكة قوية دامت أكثر من ثلاثة قرون. وكذلك إظهار النجاحات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي توصلت لها المملكة السنارية عبر تنفيذها لخطط وفقاً لعناصر الجغرافية الاستراتيجية بالمملكة. تم جمع المعلومات عبر الكتب والمصادر التاريخية والجغرافية لتسي ذات الصلة بتاريخ الفونج عامة والجغرافية السياسية والاستراتيجية بصفة خاصة. بين البحث أن القبائل العربية التي ينتمي إليها العبدلاب والفونج سعوا إلى تكوين أمة تؤيدهم وتناصرهم قبل أن ينشأوا دولة ذات حدود سياسية عبر التزاوج والتصاهر ونشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في بلاد النوبة ثم بعد سقوط المغرة وعلوة تم الإلتقاء والتحالف في أرجبي لتكوين إتحاد سناري يساعد في قيام دولة قوية كما توصلت الدراسة إلى أن عوامل الجغرافية الطبيعية الاستراتيجية من موقع وحجم وشكل الدولة ونشوء منطقة صنع القرار في منطقة مركزية من أكبر العوامل ساعدت في المحافظة على عمقها الجغرافي وعدم تمكن العدو على أختراقها حوالي أكثر من ثلاثة قرون، كما ساعدت العوامل الجغرافية الاستراتيجية على وجود تنوعاً بشرياً واقتصادياً واجتماعياً ربط الدولة بالعالم الخارجي، لكن عندما ضعفت الدولة بسبب الفتن والمؤامرت سقطت في يد الأتراك عام 1821م. أوصى البحث بالإهتمام بالدراسات في مجال الجغرافية الاستراتيجية للإستفادة من أيجابياتها وتجنب سلبياتها.

Abstract:

This research is concerned with the strategic geography of Sennar Kingdom (1504-1821). The aim of the research was to identify the strategies followed by the Arab tribes in Nubia before the beginning of the Kingdom of Sennar as well as to identify the strategies followed by the kings of the Kingdom of Sennar at the beginning of the emergence and the end of the Kingdom. The research aimed to analyze the strategic natural and human geographic factors which contributed to the construction of the Kingdom of Sennar, which was a strong kingdom, lasted more than three centuries. As well as to show the economic, social and political successes which reached by the Kingdom of Sennar through the implementation of plans according to elements of strategic geography in the Kingdom. Data has been collected from books and historical and geographical sources relevant to the history of Phong in general and geopolitics and strategy in particular. The research revealed that the Arab tribes of Abdalab and Funj , before they established a state

with political borders, sought to form a nation that supported and advocated them, through mating and mixing and the dissemination of the Arabic language and Islamic culture in Nubian country. Then after the fall of the kingdom of Makra and the kingdom of Alwa were met and alliance in Arbaji to form Union Sinari to help in the establishment of a strong state. The study also found that the strategic natural geographical factors from the location, size, and shape of the state and the emergence of the decision-making area in a central area are among the biggest factors that helped maintain its geographical depth and the enemy's inability to penetrate it for more than three centuries. The strategic geographical factors also helped to create a human, economic, and social diversity that linked the country to the outside world, but when the state was weakened by the seditions and plots fell into the hands of the Turks in 1821. The research recommended that studies in the field of strategic geography should be taken to benefit from their positives and avoid their negatives.

مقدمة:

الجغرافيا الاستراتيجية هي الشق الثاني للجغرافيا السياسية، وتشكل معها لوحة مزدوجة تزود القائد السياسي، والعسكري بأسلوب موحد للإقتراب من المشاكل المترابطة، فهي تعالج مجموعة العلاقات الأساسية في الحياة للدولة، فالقائد الاستراتيجي يستوحي أفكاره ليضع على أساسها الخطط الاستراتيجية الشاملة على المدى القريب والبعيد، وكذلك غايته الوصول إلى أقصى حد ممكن من المطلوب، ويستند إلى قواعد محددة، ويطبقها مباشرة بما يتلائم مع الواقع في الميدان الجغرافي المختلف، والاستراتيجية تعالج المشاكل أكثر إتساعاً، وأقل محدودية في الزمن، وعليها أن تدرك بعمق العوامل التي تقوم عليها الجغرافيا السياسية⁽¹⁾. وفرت عناصر الجغرافية الاستراتيجية الرؤية الاستراتيجية الكبرى للمملكة السنارية، كما حددت الإتجاه الذي يمكن أن تسير عليها، وعلى هديه تم التخطيط الاستراتيجي طويل الأجل، ولو كان في غياب إلى الرؤية الاستراتيجية الكبرى لن يتوفر للمملكة معيار الحكم للصراعات، والازمات منذ بدايتها، ومن ثم لا يمكن تقييم القرارات السياسية بشكل واف، لولا تم هذا في إطار توجيه السياسات وتحديد الأولويات لما أدى إلى إستمراريتها أكثر من ثلاثة قرون. إذ تقدم هذه الدراسة الجغرافية الاستراتيجية في هذا المكان الجغرافي المميز من

موقع جغرافي فريد وإمكانيات وثروات، وما أنجزه إنسان سنار بفكره في هذا الحيز الجغرافي المتعدد الثقافات التي أغنت البشرية في هذه الفترة .
أهمية البحث:

أن الجغرافية الاستراتيجية عملية شاملة تمس جوانب المجتمع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية عبر القرار الذي تتخذه السلطات العليا في الدولة لمجموعة معينة من الأهداف الأولية تلتزم بتحقيقها خلال الوصول إلى الغايات تبناها المجتمع من أجل تنمية قدراته اقتصادياً، واجتماعياً وسياسياً بتوازن، وتتبع أهمية البحث على عكس الجغرافية الاستراتيجية التي ساعدت حكام المملكة على قيام مملكة بخطى تتسم بالبساطة، ولكن أحسب أنه تفكير علمي لم يكن مجرد صدفة؛ لأن الصدفة لم تجعل الدولة تستمر أكثر من ثلاثة قرون، فلا بد من معرفة إيجابيات الجغرافية الاستراتيجية التي أستفادوا منها حكام المملكة في بناء دولة قوية.

أهداف البحث :يهدف البحث إلى الآتي:

1. مناقشة الاستراتيجيات التي ساعدت على تأسيس المملكة السنارية قبل بداية النشأة.
2. التعرف على الاستراتيجيات التي أتبعها ملوك للمملكة السنارية عند بداية النشأة.
3. تحليل عوامل الجغرافية الطبيعية والبشرية الاستراتيجية التي ساهمت في بناء المملكة السنارية.
4. إظهار النجاحات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية التي توصلت لها المملكة السنارية عبر تنفيذها عناصر الجغرافية الاستراتيجية بالمملكة السنارية .

مشكلة البحث:

مع التغيرات الجارية على المسرح الجغرافي في بلاد النوبة التي دخلوا عليها العرب سواء كان من اتجاهها الشمالي أوجنوبي، أصبحت القبائل العربية أمام تحديات وخيارات تواجههم تختلف إختلافاً كبيراً من البلاد التي أتوا منها فلا بد أن تكون رؤية جديدة واستراتيجية كبرى للموقع الجغرافي الجديد كي يحققوا الأفكار، والغايات التي كانوا يصبو لتحقيقها.
تدور مشكلة البحث حول الأسئلة التالية:

- ما الاستراتيجيات التي وضعتها القبائل العربية عند دخولهم لبلاد النوبة قبل تأسيس المملكة السنارية؟
- ما أهم الاستراتيجيات عند بداية تأسيس المملكة السنارية عام 1504م ؟
- ما هي مقومات الجغرافية الاستراتيجية في المملكة السنارية ؟
- إلى أي مدى ساهمت هذه الاستراتيجيات إلى الوصول إلى حالة التوازن في التنمية الإقليمية بين الأقاليم المختلفة وأنعكست على قوة الدولة ونجاحها لمدة أكثر من ثلاثة قرون؟

فرضيات البحث: يفترض البحث الآتي:

- هناك رؤية استراتيجية تكاد تكون متشابهة للقبائل العربية التي ينتمي إليها الشركين في حكم المملكة قبل الالتقاء في مدينة أربجي 1504م فهي تكوين أمة عبر التزاوج، والتصاهر مع السكان الأصليين من بلاد النوبة، ومنطقة النيل الأزرق مما خلق بيئة جغرافية استراتيجية متوازنة بعد التحالف ساهمت في بناء مملكة قوية.
- الشراكة في حكم المملكة السنارية بين الفونج، والعبداً أدت إلى نشأة دولة كبيرة متميزة في تحقيق حاجات المجتمع الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وربطته بالعالم الخارجي الإسلامي والعربي بوفق استراتيجية تعتمد على جغرافية المكان الاستراتيجية.
- ساعدت جغرافية المملكة السنارية (الموقع، والمساحة، والشكل) الحكام في وضع خطط استراتيجية مكنت من قوة الدولة، وحمايتها من تغول الأعداء، مما جعلها تدوم أكثر من ثلاثة قرون.

منهجية البحث :

إستخدم البحث المنهج التاريخي لمعرفة التطور التاريخي للاستراتيجيات التي أدت إلى قيام المملكة السنارية، كما تم استخدام البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي استخدم في وصف وتحليل عوامل الجغرافية الاستراتيجية الطبيعية، والبشرية التي ساعدتها في حالة السلم، وربطتها بالعالم الخارجي، وفي حالة الحرب حمايتها من الغزو الخارجي.

طرائق جمع معلومات البحث :تحتوي علي الآتي:

المعلومات الثانوية التي تم جمعها من الكتب والمصادر العلمية التاريخية والجغرافية التي لها صلة بموضوع البحث من المكتبات بولاية الخرطوم .

مفهوم الجغرافية الاستراتيجية :

هي دراسة عوامل الجغرافية الاستراتيجية للدولة، ومدى تأثيرها في العلاقات السلمية أو الحربية وتعتمد الجغرافيا الاستراتيجية في التحليل على الدمج بين الجغرافيا السياسية، والطبيعية، والبشرية والعسكرية، والاقتصادية، وكما تهدف الجغرافيا الاستراتيجية إلى تخطيط ورسم السياسة الخارجية للدولة وفق الاعتبارات الجغرافية والاستراتيجية⁽²⁾.

أذن الجغرافيا الاستراتيجية هي العلم الذي يسعى إلى جمع وتحليل ودراسة وتفسير المعلومات الجغرافية الأساسية للدولة لاستخدامها في إعداد الخطط الاستراتيجية للدولة في السلم والحرب.

الاستراتيجيات التي أتبعها القبائل العربية ببلاد النوبة: تشتمل على الآتي:

-استراتيجية تكوين أمة ببلاد النوبة (المقرة وعلوة):

أهم الاستراتيجيات في الجغرافيا السياسية أن تصنع أمة قبل أن تصنع دولة وليس أول واجبات الدول في البداية أن تضع لها حدوداً، ومساحة معينة ؛ بل أن هذا يحدث بعد خلق الأمة، فالأمة لا تتطلب وجود سلطة حاكمة، بل تعتمد على العادات، والتقاليد المشتركة، واللغة الواحدة فكانت بداية دخول العرب تم التزاوج، والتصاهر مع السكان الأصليين، ونشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية تدريجياً تحت إدارة القبائل العربية بعاداتها وتقاليدها.

قال المسعودي عن كلامه عن أسوان سكنها خلق كثير من العرب، ووضح ابن خلدون إن العرب من جهينة بعد الفتوح الإسلامية 1318م أنتشروا فيها فكانوا شيعاً، ويظهر أنهم سكنوا بين الشلال الأول والثاني، وعرب الجوابرة من ذرية جابر الأنصاري والكنوز جاءوا من نجد والعراق فسكنوا بين الشلال الأول والسبوع، وعرفت ببلاد الكنوز، وسكن بين الشلال الثاني وجبل دوشة بعض الأشراف، وبين جبل دوشة والشلال الثالث قوم ينتسبون إلى قريش، وقد أسسوا مملكة في جبل ساسي، وبعد فتح النوبة السفلى أتجهوا إلى النوبة العليا حتى ملؤها، وكان أكثرهم من جهينة، وبني العباس، وتغلب العنصر العربي على النوبة⁽³⁾.

ذكر شقير عند افتتاح دنقلا التي هي كرسي النوبة عام 1318م انتشر أحياء العرب من جهينة إلى بلاد النوبة، واستوطنوها وذهبوا ملوك النوبة إلى مدافعتهم فعجزوا، ثم صاروا إلى مدافعتهم بالصهر فافترق ملكهم فصار إلى بعض أبناء جهينة من أمهاتهم فتتمزف ملكهم، وأستولى أعراب جهينة وبقوا شيعاً على كل شيعة منهم رئيس، أو ملك إلى أن قام الفونج 1504م⁽⁴⁾.

تكاثرت القبائل العربية في السودان عموماً، وفي علوة خصوصاً، وأختلطوا بذلك مع السكان الأصليين إختلاطاً كاملاً منهم من يتبع في الصحراء وراء إبله طلباً لمواطن الرعي أينما كانت، ومنهم نقل التجارة على إبلهم، لم يقوموا العرب بعمل جماعي مباشر بهدف نشر الدين الإسلامي بين السكان ؛ بل أكتفوا مساكنة السكان الأصليين كل على دينه إلى أن أنتشر بينهم بالتدريج⁽⁵⁾.

نخلص من ذلك أن أول الاستراتيجيات التي مكنت العرب من الإستقرار الدائم بمكان الوصول (بلاد النوبة) بسبب المشكلات السياسية، والإقتصادية في مكان الأصل، وكانوا يسليدهم فكرة الرجوع بل كان تفكيرهم في التوطن، وتكوين الأمة في بلاد النوبة مما أدى إلى تغيير في ديمغرافية السكان عن طريقة كل من الآتي:

أ. التزاوج والمصاهرة للقبائل العربية مع السكان الأصليين بإستمرار حتى أستولوا على الملك، أن سبب إنتقال الملك لأبناء جهينة في السودان ومنهم العبدلاب كان من المصاهرة، والإختلاط بين علوة والمقرة من جهة، والعرب الوافدين إليها من جهة ثانية، والعرب الأوائل كانوا بيضاً من الحجاز وأن زواجهم من النوبة فصاروا سوداً، وهذا يؤد ما ذهب إليه ابن حوقل وابن خلدون⁽⁶⁾.

ب. نشر الثقافة الاسلامية، واللغة العربية تدريجياً بدلاً من اللغة النوبية، والديانة الوثنية، والمسيحية.

عندما سقطت المغرة أخذت تضعف صلات علوة بكنيسة الأسكندرية فلم يأتوا إليها اساقفتها، وأهملت الطقوس الدينية، وهجرة الكنائس، ووافق ذلك إنتشار القبائل العربية من المغرة إلى علوة، وسهولها وهم أكثر عدداً من سكانها، وتزاوجوا معهم وكان أسرع بأهل علوة لإعتناق الإسلام⁽⁷⁾.

إن استمرار استيطان القبائل العربية، والإختلاط والإنشغال بالتجارة كون لهم مصالح مشتركة ضعفت العصبية القبلية بمفهومها الاجتماعي، ونشأت حواضر ثقافية، وازدهرت فيها اللغة العربية والثقافة الإسلامية فتناقصت فيها الخصائص السكانية للسكان الأصليين، وتكونت أمة عربية إسلامية جديدة في علوة، وإن كانت الجغرافيا السياسية، والاستراتيجية قد لعبت دور المعطيات داخل علوة.

إن علوة جذبت مجموعات كبيرة من العرب، وكان هدفهم الوصول إلى المراعي الشاسعة والأراضي الزراعية التي أشتهرت بها فتسربت تلك المجموعات في بطء ويسر دام قرونأ، واختلطوا بالوطنيين قبل دخول علماء الدين، والصوفية⁽⁸⁾.

استراتيجية التحالف والوحدة بين قبائل رفاعة وجهينة وبقية القبائل العربية الأخرى:

بعد المعاشة، والمصاهرة، والإختلاط، أن العرب لم يطالبوا بحكم ذاتي، وكانت لهم أحيائهم الخاصة في المدن الكبيرة، وقراهم الخاصة، ولم يكن من المستطاع النوبة صد العرب بسبب ما أصاب المملكة من إنقسام، وما إعتراها من ضعف؛ بسبب حروبها مع المقرة من جهة، وغارات الزغاوة الأتية من برنو عبر دارفور من جهة ثانية، فأستقرت هذه الجماعات العربية على شكل مجموعات متفرقة تحت سلطات ملوك علوة محافظة على نظامها القبلي، ولم يحاول المهاجرون إنتزاع السلطات من الأسرات الحاكمة المحلية بقوة السيف؛ بل وطدوا أقدامهم في الأرض الجديدة موضعاً موضعاً فمنهم من أشتمل بالزراعة، ومنهم مارس الحرف في المدن، والرعي في مواقع الخصب⁽⁹⁾.
أن العرب كانوا يدفعون أتوات للموك علوة، ولقد كان الشيخ عبد الله

جماع مقدماً على العرب يدفع خراجهم سنوياً إلى المسيحية، وكان صاحب الرأي في العرب، والمشورة، والوسيط بين النوبة، والعرب في كل الشؤون⁽¹⁰⁾. تدفق العرب بأعداد كبيرة في مملكة علوة حتى غلبوا أهلها على أمرهم بعد ما أصاب سبع مقاطعات الضعف ليس من بينها سوبا، وهي دانغو، وأرين، ونافيل، وكربي، وبارا، وكدرو، والأنج أو العنج الذين هم في سهول الجزيرة⁽¹¹⁾.

الواضح أن قبائل رفاعه، وجهينة لم تكن الوحيدة التي أستفادت من تداعي مملكة علوة وإنحلالها بل شاركتها القبائل العربية الأخرى التي تنتشر في جهات متعددة من علوة؛ وأن سبب ضعف علوة يتلخص في الآتي:

1. قطع العلاقات الدينية بين الكنيسة المصرية في الأسكندرية، وكنائس النوبة، وعلوة بسبب الحروب الدائرة في المقررة بين العرب، والنوبة فأصبحوا العرب أكثر يحكمون بواسطة ملوك مسيحيين .

2. الضغط الاقتصادي الذي تمثل في دفع الضرائب لمملكة علوة المسيحية، ثم الضغط السياسي الذي حملهم على طاعة قوانين علوة المسيحية، إن هذين السببين اللذين جعل العرب يهربون من حكام الممالك القساة⁽¹²⁾.

عندما تناولت جنود العنج على ظلم العرب بالمرات العديدة اتفق عبدالله جماع مع أبناء عمه بإزالة ملك هذا الظالم، وعقد إجماع الجميع مع سائر العرب، وعلى هذا الأمر عاهدوه على حرب ملك العنج⁽¹³⁾.

لهذا دعى عبد الله جماع القبائل العربية للوحدة فلبت الدعوة، وأتحدت مع عرب القواسمة بزعامته، وهو الذي أمتاز بثقافة الفكر، وسدادة الرأي، وقوة الشيكمة، والغيرة الدينية، وكذلك كان صاحب الرأي في العرب، والمشورة، والوسيط بين النوبة والعرب في كل الشؤون كما ذكر أعلاه ولذلك أطلق عليه جماع؛ بسبب جمعه لمختلف القبائل، وقد نجح في ضم القبائل العربية التي كانت حول علوة وأيقنوا بصدق عزمها على حرب العنج، ورأى أنيستعين بقوة عسكرية بالفعل، ومنظمة وتعتنق الإسلام، وإن المدى الذي وصلت إليه الكثرة من القبائل العربية في أرض علوة، في كثير من المصادر السودانية أن قبائل جهينة وحدها حول سوبا عاصمة مملكة علوة بلغت (52) قبيلة ربما يكون منها قبائل رفاعه التي تبلغ واحد وعشرون فرع، ويبدو أن توحدتهم تحت زعامة عبدالله القريناتي لأنه جمع أبناء عمومته، والأرجح هم الأكثر عدداً من القبائل الأخرى التي معهم؛ لأن العرب لم ينشأوا حكومة مركزية تخضع لها سائر الأقاليم، لأسباب واضحة منها عدم إنقياد القبائل بعضها لبعض، فقد صاروا شيعاً كما ذكر ابن خلدون، وثم تعاقدوا على الدفاع عن النفس متى ما أصابهم ظلم من

ملك مقاطعة سوبا التي أصبحت الوحيدة التي تقاوم هؤلاء الأعراب حتى حاصروها حصاراً شديداً بسقوط كل المقاطعات التي حولها إلى أن سقطت نهائياً على أيدي القبائل العربية؛ ولهذا يرى بعض الكتاب من المؤرخين أن سقوط علوة كان نتيجة مجهود عربي، فالفونج لم يظهروا على مسرح الأحداث إلا بعد أن استتب الأمر للعرب بقيادة العبدلاب.

تشكل إستراتيجية الوحدة، والتعاون، وعدم الإعتداء، والدفاع عن النفس من أهم اسباب النصر للقبائل العربية في مملكة علوة نتيجة للأتي:

1. الصمود العربي رغم جميع ما أصابهم من ضغط اقتصادي من المفروض عليهم من ضرائب، ومن ظلم بالمرات العديدة.
2. اختيار النماذج القيادية التي عرفتها القبيلة (عبد الله القريناتي)، الذي يستطيع أن يقود أمتة، كقائد مثالي لإدارة الصراع.
3. المعرفة الواضحة للأهداف.
4. المعرفة الحقيقية بالإمكانات (الموارد) في مملكة علوة.
5. التوظيف المكنن في سبيل تحقيق الأهداف.
6. الخطوة التكتيكية في مراحل التعامل مع معركة حكام النوبة حتى النصر.

لهذا نخلص إلى أن القبائل العربية تمكنت من بث قيم وسماحة الدين الإسلامي؛ ليكسبوا ود السكان الأصليين، الذين لهم ثقافة تختلف تماماً عن الثقافة الإسلامية سواء كانت المسيحية التي إعتنقونها أكثر من ألف عام، والوثنية قبل ذلك، كذلك لولا الإختلاط والتزاوج لما تم نشر الثقافة الإسلامية والعربية ببطء في سهول الجزيرة مع السكان الأصليين اللتين ساهمتا في النصر، وأيضاً لولا فكرة الحلف والتعاهد لكانت القبائل العربية تتناحرت فيما بينها، والقوي يأكل الضعيف في إقليم علوة الاستراتيجي، هذا يشير إلى نجاح الاستراتيجية في تكوين أمة كبيرة متفقة في اللغة والدين والسلالة التي نتجت من المصاهرة، والتزاوج مما ساهمت في تكوين جيش قبلي كبير بقيادة قائد مثالي مختار (عبدالله جماع) الذين ساهموا في بناء المملكة السنارية.

1/ استراتيجيات الفونج بمنطقة النيل الأزرق قبل نشأة المملكة السنارية :

دخل سليمان من أرض الحبشة إلى بر السودان فسكن وتزوج بأبنة الملك تقو بمنطقة النيل الأزرق فستولدها ولدين سمي أحدهما داؤود أو دون ولأنس أونس، فتناسلوا معهم حتى صاروا من جملتهم في جميع أحوالهم، وأول من انتقلت الدولة من الملك تقو صاروا الملوك المعروفين بالفونج وأول ملك عمارة دنقس بن الملك عدلان، وأبناء الملك هم عمارة ونايل وعبد القادر، فأما العمروين هم آل سليمان بن عمر سليمان بن عبد الملك بن

مروان الأموي، ويقال أنهم سلطنة الفونج، وأهل الهمج حتى صاروا مثلهم في جميع، أحوالهم ويشتهرون بالفونج، وفي الأصل بنو أمية إلا أنهم صاهروا الفونج بالنساء⁽¹⁴⁾.

أن الفونج جاءوا إلى بيئة مختلفة اختلافاً كاملاً من حيث الجغرافيا، واللغة، والدين خاصة اللغة التي يستخدمها الناس في معاملاتهم كانت لا يعرفها الفونج فمن المألوفة لديهم التفكير بأن يركزوا على حصيلة ضخمة من المعلومات فأن التفكير الذي نقصده لا ينصب على مشكلة متخصصة بعينها إنما هو نوع من التفكير المنظم في العلاقة مع الناس، والعالم المحيط بهم أن يخططوا للمبادئ التي يمكن أن تطبق في كل لحظة دون إستحالة شيء هو حصيلة العمل الشاق الذي قاموا به، ولانعرف الكثير عن الجهود المضنية التي بذلت حتى وصلت إلى التغيير الديمغرافي الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي؛ ولكن يمكن أن نشير إلى أن التفكير العلمي هو الأساسي الذي تم فيه كسب المجتمع الجديد، هو تطبيق المبادئ الإسلامية التي تتمثل من أهم الاستراتيجيات التي أدت إلى نجاح تغيير كبير في المجتمع الأصلي، وكانت عن طريق الأتي:

1/ سماحة الإسلام :

سعدوا إلى غرس سماحة الإسلام فهذه طريقة علمية في التفكير تمكنهم من كسب مساحة أكبر من عقول الناس، وأستطاعوا أن ينشروا الثقافة الإسلامية، واللغة العربية في مجتمع أكبر منهم حجماً بخلاف بلاد النوبة العليا من جهة الشمال التي طغى فيها حجم السكان من الهجرات العربية المتتالية بصورة أكبر على السكان الأصليين، أن الفونج عن طريق إستخدام فن التعامل بقيم الإسلام السمحة منذ البداية وسط هذا المجتمع الذي لا يتكلم العربية، ويتدين بالوثنية حتى غيروا الخصائص السكانية تدريجياً، وأصبح هذا التغيير يمثل في حياة المجتمع إتجاه ثابت يستحيل العدول عنه أو الرجوع فيه، وأعترف بهم بشهادة المجتمع.

قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) علموا أولادكم التربية لزمان غير زمانكم). أحسب أنهم بدؤوا بالتربية الإسلامية في هذا المجتمع الذي تخالطوا وتصاهروا فيه عن طريق الإقناع، وتشكيل العقول والقناعات، والمثل سلمياً مبنياً على التودد، والصلوات الحسنة مع السكان الوطنيين من الزونج والنوبيين حتى اكتسبوا تعلم اللغة العربية، ومبادئ الإسلام بصورة تدريجية قبل التعليم عن طريق إصلاح السلوك؛ لأن فكرتهم تكوين أمة لقيام دولة قوية في المستقبل. 2 / التزاوج والتصاهر في المجتمع الجديد.

تناسل الفونج مع المجتمع حتى صاروا من جملتهم في جميع أحوالهم، وهذه توضح استراتيجية التزاوج، والمصاهرة التي شكلت معرفة اللغة العربية

التي كانت عنصراً أساسياً في تكوين قوة الدولة ودعم سلطان الدولة بإنتشارها كلغة رسمية على حساب بقية اللغات الأخرى، كما ساهمت في نشر الدين الإسلامي في وسط المجتمع المتمازج مع القبائل المحلية والوافدة، وهذا عنصراً أساسياً آخر ساهم في صنع الأمة ووحدة للدولة.

مناطق الصدام بين القوتين المتنافستين:

بعد سقوط علوة تحرك العرب بزعامة عبد الله جماع حول النيل الأزرق إلى أن وصلوا أربجي التي تعني باللغة النوبية مكان العرب كما أن هنالك اكتشاف لآثار نوبية بالقرب من موقع أربجي وهذا يوضح المنطقة مأهولة بالسكان منذ زمن بعيد وأن معين ود حجازي شيد بها المسجد في موقع تجمع العرب عام 1475م⁽¹⁵⁾.

كلمة أربجي (تعني أرب، جي) وهذا نطق النوبة (العنج) الذين تأثروا باللغة العربية، ولم يتفصحوها بها (أربجي من مقطعين أرب تنعي عرب تنطق العين ألف جي تعني جاءوا، في اللغة الدارجية المحلية لبعض القبائل الموجوده حتى الآن التي لها صعوبة نطق اللغة العربية تنطق (أرب جي بمعنى العرب جاءوا ثم دمجت أربجي)، وهذا يوضح أن وفود مجموعات كبيرة من العرب الموجودين أصلاً، والمنتشرين بين النيل الأزرق والأبيض، وكلمة أربجي تعني دلالة لوصولهم بكثافة إلى هذا الموضع، وهذا يدل على أن الفونج يعلم بوجودهم في الموقع الذي يقع شمال أربجي، وكذلك تعلم القبائل العربية بقيادة عبد الله جماع بوجود قبائل الفونج من جهة الجنوب، ولم يحصل بينهم إحتكاك من قبل، وهذا ما يؤكد شقير في رواية عبد الدافع انتقل الفونج من جبال الجنوب إلى جبل موية المجاور لجبل سقدي بقرب من سنار بقيادة عمارة دنقس وفي جوارهم قبيلة من عرب جهينة تعرف بالقواسمة، وعليها شيخ شديد البأس يقال له عبد الله جماع، فأتحد لضم كلمة المسلمين، وكذلك إن الفونج كان في جوارهم قبيلة القواسمة واتحدوا مع بعضهم وهاجموا العنج في سوبا ثم ذهبوا إلى قري وقتلوا ملكها وذلك سنة 910هـ⁽¹⁶⁾.

مما ذكر أعلاه يتضح أننفوذ القوة المتصارعة على التوسع أنتهى بهم إلى مناطق حساسة هي مناطق الإحتكاك الحقيقي بين نفوذ القوتين عمارة دنقس، وعبد الله جماع، في مثل هذه المناطق غالباً تبدأ المعارك السياسية، أو العسكرية وليست مناطق الصدام وحدها بل تظهر نطاقات أخرى مثل مناطق الخطر، أو مناطق الاهتزاز ألا وهو الإقليم الحيوي (جزيرة سنار)، ووصول العرب إلى منطقة أربجي كان هدفهم للاتجاه جنوباً، أو التوغل في جزيرة سنار للمراعي الواسعة، لذلك بدأ الإحتكاك والمناوشات بين الجانبين في هذا الموقع إلى تم الإتفاق بين الطرفين لقيام دولة موحدة عام 1504م.

أهم الاستراتيجيات عند بداية النشأة:

لما تم النصر لعمارة، وعبدالله على النوبة أتنفق رأيهم على أن يكون عمارة هو الملك الأعظم في مكان ملك سوبا؛ لأنه الكبير، والمقدم، وعبدالله بعده في مكان ملك قري، ويلقب شيخاً وجلس عبدالله في قري، وذهب عمارة فأختط مدينة سنار وجعلها كرسي مملكته، وكان عمارة وعبدالله كالأخوين؛ ألا أن رتبة عمارة أعلى من رتبة عبدالله، فكانا إذا حضرا معاً يتقدم عمارة على عبدالله وإذا غاب عمارة قام عبد الله مقامه، لم تزل العادة هذه في أسلافهم إلى إنقضاء المملكة⁽¹⁷⁾. ومن أهم الاستراتيجيات عند بداية النشأة :

الإنفاق في الشراكة في الحكم بالمملكة السنارية:

بعد ما إنتصر الفونج على العبدلاب في أربجي عام 1504م، ثم اتفق الزعيمان على الشراكة في الحكم، عمارة الملك لأنه الأكبر، وشيخ المشيخة الأقدم في المنطقة، ويسيطر مباشرة على الإقليم الحيوي الجنوبي، عبدالله جماع نائبه، ويحكم الإقليم الشمالي.

ففي الحروب تحدث انتصارات، وهزائم متعددة قبل أن يتحدد مصير الحرب لصالح واحد من الفريقين المتصارعين، ومجرد هزيمة واحدة لم تنتهي حرباً حقيقية؛ ولهذا يجب أن نقول أن معركة أربجي عبارة عن إحتكاك عسكري بعيداً عن صور المواجهة الحقيقية فلم يذكر المؤرخين كم من الزمن دارت هذه الحرب رحاها، وكم عدد القتلى، والخسارة من الجانبين، وهذه المواجهات من الإحتكاكات، والمناوشات التي أدت إلى تغيير جذري في النتائج بصورة لا تتناسب إطلاقاً مع حجم المواجهة الإستراتيجية، بعد هذا الالتقاء، يبدو أن أساس الإنفاق هو الهدف الواحد المشترك بين الجانبين هو بناء دولة اسلامية قوية، وأن لكل واحد من الطرفين وقومه مؤثر كبير في ديمغرافية المنطقة الجغرافية التي أتى منها. نخلص إلى أن أهم نتائج استراتيجية الصراع التفاوضي عند بداية النشأة:

1. خلال فترة معينة استطاع كل فريق متفاوض خلق علاقة سياسية بين الطرفين، أن هذا الأسلوب خفف الشحنة الإنفعالية من جانب الطرفين، وهذا الأسلوب سمح بتحقيق الأهداف وحقق النجاح.
2. أن التحالف والشراكة جوهر الاستراتيجية القومية، هو فن السيطرة علي جميع موارد الدولة واستخدامها بالصورة المثلى لتحقيق رغبات، وطموحات الدولة.
3. أن ضم مساحة كل من الطرفين تشكل مساحة واسعة لم يخترقها العدو بسهولة.
4. كانت الفكرة تدعو إلي لم شمل الناس، ونشوء دولة تحويهم، وأن لهم إحساس أمني، أو وطني مزدوج؛ ولذلك في أربجي تم الإنفاق على التعاون، والمشاركة في الحكم لبناء هذه الدولة، و كانت هي أول استراتيجية في بداية الحكم عام 1504م، وساهمت في إرساء دعائم الحكم، وبناء دولة إسلامية قوية استمرت أكثر من ثلاثة قرون.

الرؤى الاستراتيجية لتنظيم المملكة السنارية:

هنالك استراتيجيات وفقاً للجغرافية الطبيعية والبشرية الاستراتيجية وتبدأ مرتبة بالإمور الفورية أو الأولويات، وسريعة المدى لحل المشكلات ومن أهم الاستراتيجيات ذات الخطوط العريضة هي:

- استراتيجية إدارية هدفها تحديد موقع العاصمة، والحدود، والمشاركة الإدارية المثلى لكل المؤسسات والتنظيمات المجتمعية.
- استراتيجية عسكرية وفق العوامل الطبيعية (الموقع، والمساحة، والشكل) هدفها وضع استراتيجية للدفاع عن البلاد، وهذا يخص القادة العسكريين عن الأمن القومي.
- استراتيجية التوطن، والاستقرار للأمن الغذائي، والمساعدة في تنمية خزينة الدولة لبناء دولة قوية في الحرب والسلم، أن استقرار الدولة لم يتم إلا عبر بناء الحياة الاقتصادية، والعمرائية، وتطوير النواحي الاجتماعية للعرب البدو الرحل.
- استراتيجية تعليم الثقافة الإسلامية، والعربية بواسطة العلماء، والفقهاء لبناء دولة إسلامية.
- الاستراتيجية العالمية هدفها بناء العلاقات مع الدول بالانفتاح على العالم الخارجي بالأسواق وتطوير التعليم، وتشجيع هجرة العلماء من وإلى البلاد.

لاتوجد دولة تعتمد على استراتيجية من مكون واحد، فلاتوجد دولة بلا نطاق أرضي، أو دولة بلا شعب أو مجتمع، أو وطن بلا إمكانات اقتصادية، كما لاتوجد دولة بلا تاريخ، ولكن تتواجد مكونات قوة الدولة الاستراتيجية بدرجات متفاوتة.

استراتيجية القدرة التنظيمية للدولة والتوازن الداخلي والإقليمي:

تتميز المملكة السنارية بموارد اقتصادية كثيرة ترفع من شأنها السياسي، والعسكري مما هيأ لها فرصة الإنتاجية لإستيعاب الأعداد المتزايدة من السكان، فكان لابد من الإهتمام بالاستقرار الداخلي الذي يحقق لها الأمن القومي والحفاظ على التحالف القائم فكروا بالإتحاد إلى الحد الذي يصل إلى أن يشكلوا رجلاً واحداً لكسب التأييد المحلي للزعامة، والحفاظ على هذا التأييد بحيث لا يتنافسون فيما بينهم على صعيد السياسة الواقعية وشعر الشركين بأن لهم قيم مشتركة في نواحي خاصة بهم ويرون أن المحافظة على هذه القيم بل ونشرها، يجب أن يتحدوا في شكل تقسيم داخلي ليسهل الإدارة وتبعاتها، وثم تتحول الوحدة السياسية إلى دولة قوية متحدة من خلال الروح القومية الموجودة والاعتراف بدستورها بنظم خاصة لكل منطقة؛ ليتيح البقاء والاستقرار، والاستمرار، والحفاظ على التحالف القائم، وأن جل ما سعت له المملكة التماسك الداخلي سياسياً، واجتماعياً دون السماح لأي دولة باستغلال التركيب السكاني المتنوعة، وتكون لهذه الدولة ذات حدود سياسية تفصلها عن جيرانها تجنباً للتصادم الخارجي.

كان تقسيم الممالك والمشايخات التي خضعت للفونج مباشرة كالأتي: مشيخة خشم البحر تمتد من شرق النيل الأزرق، ومملكة فازو غلي جنوب مشيخة خشم البحر، مشيخة الحمدة تقع على نهر الدندر، مملكة بني عامر في الصحراء الشرقية بين البحر الأحمر وخور بركة شرقاً وغرباً وبين عقيق على البحر الأحمر وبلاد الحبشة شمالاً وجنوباً، مملكة الحنقة بكسلا على القاش، أما الممالك والمشايخات التي خضعت للفونج بواسطة العبدلاب هي: مشيخة قري التي كان لها السيادة من أربجي إلى الشلال الثالث ومشيخة الشنابلة تقع على النيل الأزرق شمال سنار، مملكة الجموعية امتدت غرب النيل الأبيض ونهر النيل من عقبة قري إلى التربة الخضراء، والممالك تتمثل في كل من مملكة الجعليين شمال مشيخة قري، أما الميرفاب شمال الجعليين، الرباطاب من وادي السنقر إلى المشايخة فيما وراء أبي حمد، المناصير تمتد من المشايخة إلى الشلال الرابع والشايقية من الشلال الرابع إلى أبي دوم قشابي، وشمالها كل من الدفار، والخندق، والخنق، وارقو في جزيرة ارقو⁽¹⁸⁾ أنظر خريطة (1).

تسعى الدولة نحو الاستقرار السياسي الداخلي عبر استراتيجية الوحدة الفدرالية، فالتنمية لا تأتي إلا في إطار توازن داخلي للأمن الأقليمي، فلا بد أن تسعى لدور سلمي أكبر من ناحية الداخل، يبدو أن الإتفاق والتحالف الذي ذكر أعلاه كفيل حرية التنقل لسائر القبائل العربية البدوية التي تبحث عن الأراضي المطرية الفسيحة في كل أنحاء المملكة، مما ساهم في الزواج والتصاهر مع القبائل الفانجاوية في المنطقة التي كان يسيطر عليها الفونج، وهذا أدى إلى كثير من التماسك والوحدة فأصبحت هذه القبائل البدوية التي تحت قيادة عبدالله جماع تشكل وحدات إدارية كبرى وصغرى معظمهم تحت الإشراف المباشر للملك الفونج، ومنهم الذين يشرفون على وحدات إدارية كبر بعد الإتفاق أصبحت في مناطق تابعة للفونج، مثل شيخ خشم البحر من الكماترة والكماترة هم من أبناء عمومة عبدالله جماع، وكذلك أيضاً إدارة الحمدة بالدندر، بالإضافة الإدارات الصغرى من القبائل ويطون القبائل التي كان يرأسها زعيم قبيلة التي انحصر أسمائها الآن في القرى القديمة، هذا التقسيم مكن الدولة من المحافظة على الإستقرار، والتماسك، والأمان، كما أن هنالك مشيخات وممالك قبائلها حافظت على اللغة المحلية كفلت لها الدولة وحدات إدارية سواء كانت تتبع لإدارة العبدلاب التي مكان وجودها الجغرافي في الشمال بجوار الممالك الكشاف الذين يتبعون إدارياً لمصر مثل ممالك الدناقلة، والمحس في كل من مملكة الدفار، والخندق، والخنق، وارقو، هنالك وحدات إدارية تحت إدارة الفونج مباشرة في حدود دول الجوار أيضاً حافظت على اللغة المحلية، مثل مملكة البني عامر والحنقة، والقلابات (التكارنة)، وفازو غلي. فالتنظيم لا للحياة الداخلية فحسب بل للعالم المحيط بهم وحتى تأتي التنمية الإقليمية المتوازنة؛ لأن العالم ملء بالحوادث المتشابكة، والمتداخلة بالظواهر الطبيعية، والبشرية المتشابكة، والمعقدة، وهذا يحتاج

تخطيط، وتنظيم داخلي يحافظ على الأمن. مكونات الجغرافيا الطبيعية الاستراتيجية بالمملكة السنارية:

مع التغيرات الجارية على المسرح الجغرافي، والسياسي للملكة أصبحت أمام تحديات وخيارات تواجههم، فلا بد أن تكون رؤية جديدة، واستراتيجية كبرى للموقع الجغرافي، فالفكرة كانت في عنصرين أساسيين: الأرض، والشعب، والعنصر الثالث هو التفاعل بين السكان، والأرض لإيجاد نوع من التوازن، والانسجام بين متطلبات البيئة، ومتطلبات التنمية الاجتماعية، والاقتصادية، وتعزيزاً لهذا الاتجاه أحسب أنهم كانت لديهم فكرة التنمية المستدامة، أو التنمية القابلة للاستمرار وفق استراتيجية مرتبة تبدأ وفقاً إلى عوامل البيئة الطبيعية من أجل منفعة أكبر وأدوم للعوامل الطبيعية الثابتة. للجغرافيا السياسية أهمية بالغة جداً تستحق الدراسة بشكل خاص من ناحية أدوارها في الجغرافيا الاستراتيجية التي تتفاعل لمنح الدولة التي تشغل هذا النطاق الأرضي قوة، وتماسك داخلي ووزن سياسي رفيع على المستوى الإقليمي والعالمي. تعتبر الجغرافيا الطبيعية من أهم المكونات الاستراتيجية التي تساهم في قوة الدولة سياسياً مثل الموقع، والحجم، والشكل (خريطة (1))، ويمكن أن نناقش ذلك على النحو التالي:

خريطة تقريبية (1) موقع المملكة السنارية وعمقها الدفاعي



المصدر: عمل الباحث (2017م)

المواقع الاستراتيجية بالمملكة:

الموقع الفلكي للمملكة تقريباً بين دائرتي عرض 10° ش و 21° ش وخطي طول 49° و 30° ق و 24° و 38° ق، وأهمية الدوائر العرضية هي التي تحدد الجغرافية الطبيعية الاستراتيجية، وتمتد في قرابة 11 درجة عرضية (خريطة (1)) أدى إلى التنوع في المناخ والتركيب الجيولوجي والتربة وكان لموقعها البحري في توجيه علاقتها الدولية خلال ساحلها الذي يمتد 760 كلم (سواكن وباضع وعيذاب) مما ساعد على إنتعاش التجارة في هذه الفترة ، فالمواقع الاستراتيجية تشتمل على:

1/ مواقع الثغور الاستراتيجية بالمملكة:

تقع المملكة السنارية من الناحية الشرقية على البحر الأحمر (خريطة (1))، ويتميز بأنه موقع استراتيجي هام، ويشكل أهمية كبيرة في التجارة العالمية، وإنّ معظم الخطوط التجارية تمر من اليابس الداخلي إلى البحر، كان لابد للحكومة السنارية أن يضعوا أنفسهم أمام وضع جغرافي يجعلهم في حالة من الاستقرار الدائم عبر تنفيذ عمليات المراقبة الدائمة في العلاقات السلمية والحربية بالبحر الأحمر.

في عام 1508 وصلت جيوش الملك عمارة دنقس لسواكن وكان أميرها من الحدراب وقد أنضمت قبائل الأورتيقة وحلفاؤها من القبائل العربية وغيرها إلى جيوش الفتح، وبعد معارك كثيرة، خضعت جيوش البجة لسلطان الدولة المسلمة في سنار وعين أمير عليهم عبد الله بوشي الأرتيقي، وأستبسل هو ورجاله في حراسة البوابة الشرقية للسودان. قام وفد كبير من زعماء البجة إلى عاصمة سنار محمد بن موسى وشيخ مشايخ سواحل البني عامر، والشيخ جمع بن عجيل، وأكرمهم ملك سنار وخصص نحاس للدقل، وقسم كساوي الشرف، والهدايا لجميع شيوخ، وأعيان الوفد، وتعاهدوا بحماية ثغر السودان، وظل مندوب المملكة يحضر سنوياً لسواكن ليأخذ الزكاة من القبائل، ويحمل لزعمائها كساوي الشرف من الدمور والسيوف⁽¹⁹⁾.

عندما قدم السلطان سليم إلى سواكن، ومصوع فأمتلكهما، ودخل الحبشة بقصد الزحف على سنار فخطب عمارة دنقس يدعو إلى الطاعة فأجابه (إني لا أعلم ما الذي يحملك على حربي وإملاك بلادي فإن كان لإجل تأييد دين الإسلام فأنا، وأهل مملكتي عرب مسلمون ندين بدين رسول الله (ص)، وإن كان لغرض مادي أعلم أن أكثر أهل مملكتي بادية، فقد هاجروا إلى هذه البلاد في طلب الرزق لاشئ عندهم تجمع منهم الجزية)، وأرسل مع الكتاب كتاب أنساب قبائل العرب الذين في مملكته، وأعجب السلطان سليم بما فيهما، وعدل عن حرب سنار⁽²⁰⁾، وهذا نجاح في خطاب سياسي أمني في عدم إخضاع مملكته

لحكم مصر في سنة 1517م، هذا أكسب الدولة أهمية، فهو يدعو إلى عدم التسرع في إتخاذ القرار السياسي الحربي، ويتصف بخصوصية إحترام الإسلام، والعرب البسطاء، والفقراء، وعدم الدخول في المنازعات، كما يدل هذا حفاظاً على الثغر الاستراتيجي من الأولويات في هذا الخطاب، وكذلك المحافظة على أمن المملكة قاطبة. في عام 1560م زارع جيب المانجك سواكن، ونزل ضيفاً على أمير الأورتيقة الأمير عبد الله بوشي، وطلب الشيخ عجيب من مصاهرة عمار بن محمد كامل، ووجد شيخ المناجل صعوبة في مياه الشرب، فحفر حفير واسعة للمياه بالفولة الواقعة جنوب المدينة، فأراحوا الناس، وأستغنوا عن المياه المالحة، ثم توثقت الصلة بين البجة والمملكة، وظل البجة أوفياء للسلطنة حتى دخول الاتراك⁽²¹⁾.

العلاقة التجارية، والروحية قديمة بميناء سواكن منذ عام 1324م بسيادة الأورتيقة التي تصاهرت مع الأشراف، كما أن العلاقات الاجتماعية، والثقافية كانت رافداً قوياً بوجود الهجرات إلى السودان والاستقرار في ساحل البحر الأحمر، وقبيلة بيلى (بيلى أقصى حضر موت) التجارية كانت تتاجر معتجار الجزيرة العربية (العطور والأقمشة والؤلؤ والمرجان والبلح والمسك والبقوليات الجافة)، والساجيد والجلود من منطقة البحر الأحمر إلى أن استقرت، فلم يتم استقرارها عن طريق القوة العسكرية وإنما تم عن طريق المصاهرة، والرباط العرقي الذي أوصل هذه العوائل للحكم، فالعلاقات التجارية للمملكة عبر التاريخ كانت من التاكا تأتي منها الذرة، ولا تقلع سفينة من سواكن إلا وفيها ذرة التاكا⁽²²⁾.

أشار الفاسي بقوله (أن غلاء كان بمكة المكرمة ودام كذلك أياماً، ثم فرج الله على الناس قريباً بجلاب وصل من سواكن؛ لذلك كانت سواكن مخزن الغلال الذي يسعف أرض الحجاز في المجاعات، وندرة الغذاء) كما كانت تصدر السمن، والألبان إلى مكة المكرمة، فقد ذكر بن بطوطة أن السمن والألبان تكثر في سواكن، وتجلب إلى مكة المكرمة، كما كانت سواكن تصدر الحصر والسجاد المضغوط من سعف الدوم، فتفرش منها المساجد في جميع أنحاء اليمن، والحجاز، وكان الحجاج لا يغادر مكة المكرمة إلا وفي يده حصيرة سواكنية صغيرة⁽²³⁾.

عند استقرار المسلمون في إقليم العتباي وإستغلال مناجم الذهب بالعلاقي يعتبر نوع من النشاط التجاري، وأن عيذاب كانت تسمى ميناء الذهب. قال بونسيه تجار سنار يتعاملون مع ميناء سواكن يأتون بالؤلؤ من مقاصاته، ويتاجرون مع مخا في اليمن، ومع الهند، وينقلون إليها الذهب، والزباد وسن الفيل، ويرجعون بالبهارات، والبضائع الهندية⁽²⁴⁾.

مما سبق يتضح أهمية البحر الأحمر الاستراتيجية الذي يشكل بوابة من خلالها تتصل بمجموعة من الأطراف الاستراتيجية التي تحكمها بطرق النقل، فهو حلقة وصل بين مقر الحضارة الإسلامية في الجزيرة العربية (مكة المكرمة والمدينة المنورة)، وحلقة وصل تجاري بين الداخل والخارج في العالم الإسلامي، والعربي ككل، كانت التجارة عبره إلى الهند، واستعادة سواكن شهرتها التجارية في هذه الفترة، وعن طريقها جاء علماء كثيرون من مصر، والحجاز إلى سنار؛ لذلك تقع مملكة سنار من ضمن الدول المفتوحة على الرغم من قصر طول خط الساحل مقابل اليابس، كما ساعدت مواني البحر الأحمر في تنمية أعمال المناولة والتفريغ في المواني فضلاً عن أنشطة تجارة المرور العالمية، فمنذ بداية الحكم عام 1508م سعى الحكام لتأمين الموقع الاستراتيجي لثغر المملكة المتمثلة بصفة خاصة في ميناء سواكن لأهميته السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والروحية فطبقوا سياسة تمنح هؤلاء المواطنين الطاعة للحاكم، سواء من الأهمية الإدارية للقبائل المؤثر في المجتمع، أو عن طريق المصاهر للقبائل حتى يجعلون النظارة في تلك القبيلة لإبنهم من تلك الأسرة، أو تقديم أهم الخدمات الضرورية مثل المياه الصالحة للشرب، كما فعل ذلك عجيب بن عبدالله جماع، وهذا يمثل تخطيط استراتيجي للأمن القومي من خلال الموقع الاستراتيجي جعلهم يفكرون في فهم سياستها الخارجية، والمحافظة، والسلام، أن أهمية النقل البحري تكمن في ربط الأجزاء ببعضها على أساس التكافل الوظيفي، وربط الدولة بالداخل، وبالعالم الخارجي، واستطاعت المملكة أن تنمي التجارة من خلال موقعها الاستراتيجي؛ مما عكس قوة الدولة سياسياً، واقتصادياً، ويشكل الذهب حجر الزاوية في التجارة الخارجية.

2/الموقع بالنسبة للدول الجوار:

تقع المملكة السنارية على حدودها دول كبيرة الحجم، الحبشة فيالشرق وحكومة الممالك المصرية في الشمال وإقليم كردفان(تقلي والمسبعات)الذي مصدر نزاع بينها وبين الممالك الغربية (الفور)، وتحدها الممالك الزنجية في الجنوب(الشك والدينكا)،منافذ حدودها البرية الشرقية تمر عبر مجاري الأنهار، وفي حدها الجنوبي كتلة جبلية في منطقة فازوغي يزيد من مناعة الدولة.لحدود دول جوار المترامية الأطراف وظائف استراتيجية وإرتباطية بواسطة التبادل بين الناس، والسلعأستطاعت المملكة أن تنمي التجارة من خلال موقعها الاستراتيجي المميز بين الدول المجاورة،ففي حالة السلم خلقت علاقات خارجية سلمية مميزة، وقوة سياسية، واقتصادية كبيرة.

فالحدود البرية تتقابل على طولها وحدات الحراسة المتبادلة بين الدولتين المتقابلتين، يمكن إختراقها من أي موضع؛ لذلك تتطلب موانع وإستحكامات دفاعية وتتركز القوة العسكرية خلفها، فالحدود البرية الطويلة تشكل عبئاً دفاعياً⁽²⁵⁾.

خططت المملكة للأمن الاستراتيجي في الحدود الجغرافية الهامشية مع دول الجوار عند مداخل الأنهار التي كانت تمثل الطرق الرئيسية، لكن من أخطر الحدود التي تشكل خطراً هجومياً عليها الحدود الشرقية (الحبشة)، وهي عبارة عن حدود هندسية تسير مع المجاري المائية تمتد الحدود عند رأس كسار على البحر الأحمر، وتتعامد فيها المجاري المائية الرئيسية المنحدرة مثل النيل الأزرق، والدندر، والرهد، ونهر عطبرة إلى شماله الأخوار كالقاش وبركة، وأربعاء، وستيت وغيرها، فمن الناحية المائية هنالك إتصال قوي بين النظام النهري في كل من الحبشة والسودان، ومن ناحية التضاريس لانستطيع القول بأن الحدود تتميز تميزاً كاملاً بين الجبال في الحبشة والسهول في السودان ولعل الواقع التاريخي لهذه الحدود يلقي الضوء على مشكلاتها فمنطقة الحدود بينها وبين الحبشة معمورة لها من ظروف البيئة الطبيعية، وكثرة المجاري المائية فالقبائل التي تحتربحرفة الرعي لاتعرف الحدود، وتتوغل في حدود دول الجوار فليس من الغريب أن تكون في المنطقة الشرقية مجال صراع بين الهضبة والسهل، وتتركز في حدود المملكة مع الحبشة أكبر عدد من الوحدات الإدارية الكبرى (عشرة) فهي: مملكة البني عامر تقع على خور بركة ومملكة الحلقنة وأروما تقع على نهر القاش ومشخة القلابات بها شيخ القلابات عند مدخل نهر عطبرة، وعدد من الأخوار وأهمها خور أم دجر، ومشخة عطبرة التي بها شيخ القوز (قوزرجب) تقع إلى الداخل على نهر عطبرة ورافديه ستيت، وباسلام، ومملكة تيوة بالقصارف على نهر الرهد، كما توجد مملكة الحمدة تقع على نهر الدندر، وكذلك مملكتهم في الحدود على النهر، وعاصمتها زنكر ومملكة خشم البحر عند مدخل النيل الأزرق، وفازوغي على خور يابوس، ومواقع هذه الوحدات الفدرالية الكبرى تقع على مواقع الأنهار والأخوار في حدود دولة الحبشة أنظر خريطة (1) هدفها الأول لتأمين الحدود الدولية خوفاً من تغول دول الجوار (الحبشة). وأشار سعيد إلى أن الحبشة دولة قوية تأسست فيها مملكة نحو 500 سنة قبل الإسلام ولكن دخول المسيحية الأرثوذكسية القبطية في عام 330 بعد الميلاد سجل لها ذاكرة تاريخية تدور حول مقاومة النفوذ العربي الإسلامي، كما أنها تتحكم في مواقع استراتيجية ذات أهمية في العالم (البحر الأحمر وباب المندب)⁽²⁶⁾.

كما أن أهمية الوحدات الفدرالية في المواقع الهامشية للمملكة مراقبة دخول أي عدو إلى تخوم المملكة لأن الأنهار تشكل الطرق الرئيسية في هذه الفترة وأيضاً الهدف منها حماية وتقوية المركز، فالحدود من الناحية الغربية حمايتها من (الممالك الغربية في السودان خاصة مع اطماعها على إقليم كردفان) التي تتشكل في مملكة الجموعية، ومشخة اليس (الكوة) تقعان على النيل الأبيض، ومشخة اليس عليها مراقبة مدينة اليس نسبة لموقعها الاستراتيجي فهو ميناء نهري ومعب طريق رئيسي يربط مدينة سنار بممالك غرب السودان وأفريقيا، كما توجد في الشمال الممالك والمشخات التي تتبع مشخة العبدلاب تقع على نهر النيل في مساحة صغيرة متتالية وهي: مشخة قري ومملكة كل من الجعليين والميرفاب والرباطاب والمناصير، والشايقية، والدفار، والخندق، والخناق، وارقومنت من تغول الممالك الكشاف إلى الداخل.

حسب المصادر الحبشية بدأت سوء العلاقات مع الحبشة في عهد بادي سيد القوم 1611م، يبدو أن ملك الحبشة حاول معاملة بادي كتابع بمعاونة والده المخلوع الملتجئ بالحبشة، وأن نايل ود عجيب في الشرق تعدى على الحبشة، ولم يرد بادي على احتجاج الإمبراطور، وأن حاكماً تابعاً إلى الحبشة لجأ لنفوذ سنار معه فرسانه، ونحاسه، وطالب الأمراطور بإرجاع النحاس على الأقل، ولم يرد بادي على احتجاج الإمبراطور خوفاً على أن يذهب ملكه لوالده، وتجمعت الأسباب لغزو امبراطور الحبشة المملكة، وفي الفترة 1618-1619م تميزت بالإحتكاك الحدودي مع الحبشة في شكل مناوشات على الحدود، فكانت خطة الهجوم شاملة على الحدود من النيل الأزرق إلى منطقة كسلا ووزع الجيش المعتدي إلى ثلاثة قطاعات، بجهة القصارف هجومين لم يصلوا إلى نهر عطبرة ورجعوا بغنائم بعد أن فر سكان المنطقة للداخل، وجيش ثاني توجه إلى دبركي؛ ولكنه لم يصلها واكتفى بالغنائم، جيش التاكا لم يذكر عنه إلا أنه دخل الإقليم، وهالك هجوم دخل في السهول إلى إخضاع مملكة أروما التي تنزعها قبائل بدوية، وحصل الجيش على غنائم واسلاب، غير أن الملكة فاطمة هربت وأختفت، وعندما بعث لها قائد الجيش الحبشي بأنه يبقي الشتاء بأكمله في منطقتها، سلمت له نفسها وأحضرت أمام الأمراطور، وعندما راعى ضعفها، وكبر سنها عاتبها عن إمتناعها عن دفع الضريبة التي كان يدفعها أسلافها فأجابته بأنها لم تستقبل من يطلبها منذ أمد بعيد، وعندما تم الإتفاق على تأدية الضريبة رجعت لبلاها معززة ومكرمه في الحدود⁽²⁷⁾.

مما سبق يتضح عدم وجود جيش منظم في الحدود الطويلة للمملكة بينها وبين الحبشة؛ يبدو أنها تعتمد على الجيش القبلي، وربما أن المنطقة التي تمتد

من حدود النيل الأزرق إلى كسلا مراكز تجمع كبير للقبائل البدوية؛ لذلك لم يهتم بادي بالرد على احتجاج الإمبراطور، وعلى الإعتداء الذي بدر منهم أولاً بواسطة نايل ود عجيب، وعدم تسليم الحاكم التابع إلى الحبشة الذي لجأ لنفوذهم بسنار وهذا يدل على أنه لم يهتم بالإمر اعتماداً على سياسة الإخلاء التي يتبعها زعماء القبائل من الحدود كما أن العمق الدفاعي الاستراتيجي في سنار كبير لم يمكن جيش الأحباش من الوصول إليها بسهولة، وإذا دعت الحاجة سوف يكون الإمداد من الجيش المنظم في مدينة سنار في أي موقع داخلي بعد أن يستنفذ الجيش الحبشي قوته، وقد حصل ذلك لأن الجيش الحبشي لم يتمكن من الدخول إلى الداخل فلم يصل إلى نهر عطبر من القصارف ولم يصل عبر نهر الدندر إلى دبركي فأكتفوا بالغنائم التي تركها الأهالي، كما أن الملكة فاطمة هدها قائد الجيش، أنه لم يخرج من مملكتها بأروما حتي الشتاء، ويبدو إن هنالك مدة زمنية طويلة قد تكون بضعة شهور بين فصل الشتاء لذلك سلمت له نفسها خوفاً من أن يضيع ملكها، أو تذهب مملكتها في أيدي الأحباش من قبيلتها، ثم يبدو أن جوارها الاستراتيجي مع إمبراطور الحبشة سمح لها بالعودة لموقعها، وهذا يدل على قوة الجيش القبلي ودفاعه عن الحدود.

الموقع الاستراتيجي المركزي لصناعة القرار (العاصمة):

بدأة مملكة سنار بتأسيس نواة الدولة في مدينة سنار بعد الإتفاق الذي تم بين الشريكين، فكانت عبارة غابة وتسكن بها جارية تسمى سنار⁽²⁸⁾. بدلاً من مدينتهم الأولى لام ولذات الموقع الجغرافي المتطرف في الدولة قبل الإتفاق، والثانية جبل موية موقعها الداخلي، فتم إنشاء مؤسسة الحكم في مدينة سنار في موقع استراتيجي مميز جغرافياً، فهم سعو الضمان صناعة القرار في أكبر المناطق أمناء، والوصول بتسهيلات العملية الدفاعية، والإدارة المركزية لأقصى حد، فمن ناحية الحدود الشرقية تحدها دولة الحبشة التي توجد بها حكومة قوية منذ القدم كما ذكر أعلاه، فالحد مؤمن بمواقع عشرة من المشيخات الفدرالية، وأما من ناحية الحدود الغربية يحدها إقليم كردفان التجاري الذي تتنازع فيه مع مملكة الفور .

أن إختيار العاصمة يعكس التفكير السياسي وراء عمل الدولة؛ لأن وظيفة العاصمة تأمين العمل القومي بسهولة، ويسر حينما تمتد الدولة في عدد من الأقاليم مختلفة المناخ، والاقتصاد، فإن الحكومة تختار العاصمة في أحسن الأقاليم، ونقل العاصمة يعكس إعادة توازن في الدولة، فنمو أو تقلص المساحة يؤدي إلى تغيير العاصمة، وتتركز في عاصمة المملكة مؤسسات الوظيفة السياسية

مثل قصور الحكم، ومؤسسات السلطة التشريعية، والتنفيذية، والإدارات المعنية بالقرار السياسي، لما كان القرار العسكري بالهجوم، والدفاع قرار سياسي من الدرجة الأولى، كما يعتبر قراراً تنفيذياً أستوجب وجود القيادة العسكرية المنظمة مع القيادة السياسية، وتبدأ خطوط الإمداد إلى ساحة المعركة بالمناطق، والتخوم الحدودية من العاصمة، كما كان في الحروب الخارجية للمملكة. لذلك موقع العاصمة له استراتيجية وقت السلم والحرب، كما له مقومات الحماية، وتسهيلات كبيرة تضمن نجاح مؤسسات الوظيفة السياسية، والإدارة المركزية، لذلك يجب أن تكون العاصمة المركزية فيها قمة لهيكلية (أكبر حجم للسكان والخدمات الاجتماعية والاقتصادية) في النموذج القومي، وهي مركز تلاقي خطوط النقل في كل اتجاهات الدولة بذلك يتيسر للدولة قيادة عملية التنمية في البلاد، كما يدعم الموقع المركزي للعاصمة السياسية من مقاومة الحركات الانفصالية بالإقاليم. تشير أخبار فتوح الشام إلى أن العرب قسموا بلاد الشام إلى أربعة أقسام (أجناد) حسب مراكزها المهمة، وأن ختطتهم العسكرية قامت على هذا الأساس منذ عهد أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي وجه الجيوش إليها حتى عهد معاوية بن سفيان ويضعون المدن في مواقع استراتيجية لها أهميتها الجغرافية وتقع فيها مراكز الحكم ويصفون بعد المدن فيها بعدد الأيام، ويسمون العواصم عاصمة؛ لأنها تعصم المسلمين وتمنعهم إذا انصرفوا من الغزو، وإذا خرجوا من الثغر يأتون إليها⁽¹⁶⁾. تقع للعاصمة السنارية في الوسط المعمور هذا دعمها أكثر في الأهمية الاستراتيجية للعمق الدفاعي، وسجل بعداً هاماً في الدفاع الوقائي، ووفر مسرحاً مثالياً أو مناسباً لمعركة دفاعية حققت عائداً قومياً سوف تذكر لاحقاً. توطين العاصمة في هذا الموقع الداخلي النهري تشكل حنكة سياسية للملك سنار لولا هذا لسقطت الدولة منذ غزو الأحباش الحدود عام 1611م، وهذا الموقع من أحد مقومات المركزية الجغرافية والحماية وهذه تشكل أهمية استراتيجية للعمق الدفاعي الأرضي للدولة التي تكتب الآن فية كثير من النظريات الاستراتيجية. لولاء هؤلاء لما توفر لهم دراسة الأوضاع الداخلية، والخارجية المحيطة بالدولة ليكتشفوا فيها جوانب القوة، ومكامن الضعف في سائر أوضاعها، أو أن يتعرفوا على ظروف البلاد في كل الأبعاد سواء من إمكانيات، وقدرات الرجال الذين يدورونها، ويقودون مسيراتها، وطاقاتهم من العمل، والإدارة، والقيادة.

حجم منطقة سيادة الدولة:

لأشك أن مساحة الدولة ميزة استراتيجية خاصة، وإقتصادية عامة، فالدولة ذات المساحة تتصف بميزات عسكرية تجعل غزوها وإحتلالها صعباً

للاغاية كماتساهم المساحة الواسعة بإمكانيات تجنب الضغط السكاني وتوزيعه على أقاليم متعددة إذا كانت الظروف الإنتاجية تسمح بذلك، وأخيراً فأن المساحة الكبيرة تكون إمكانيات مستقبلية في الحصول على موارد زراعية ورعوية، ومعدنية مما يشجع على نمو اقتصادي قوي⁽²⁹⁾.

تقع مملكة سنار على حدود مملكتي المقررة وعلوه، وكانت تمثل تطوراً أوسع في رقعة الدولة، تقريباً تغطي مساحتها الشاسعة عشرة ولايات من ولايات السودان الحالية إذ تبلغ جملة المساحة على حسب إحصاء 2008م (977,932 كلم²)، تمثل نسبة 53% من جملة مساحة السودان الحالية (من غير إقليم كردفان الكبرى). تلعب المساحة الواسعة دوراً إيجابياً في عدم السيطرة السريعة للدولة، وأوسلياً في سيطرة المحتل لجزء لأراضي الدولة في حالة عدم وجود الأمن الكافي للدولة وخاصة التمرد في بعض الأجزاء مع إرتفاع الكثافة السكانية مما يساند العدو الغازي للدولة.

وفقاً لتصنيف بونذر يقدر الحجم المتوسط للدولة يتراوح بين (250000 وأقل من 650000 كلم²) والحجم الكبير (650000 وأقل من 1.250000 كلم²) والكبيرة جداً (1.250000 وأقل من 2.500000 كلم²)⁽³⁰⁾.

لذلك تقع مملكة سنار من ضمن مساحة الدولة الكبيرة الحجم، ربما تنبع فكرة المساحة الواسعة للدولة منذ الإلتقاء عام 1504م للمحافظة على أمن الدولة جميعاً كما ذكر أعلاه، وأن سعة المساحة من وجهة نظر الجغرافية الاستراتيجية لها دورها في زيادة الوزن السياسي للدولة سيولد قوة فعالة ولها تأثيراتها في نصرة القضايا، وأن التنوع في البيئة السنارية هو وليدة هذه المساحة ولكن لا تقصر أهمية المساحة الواسعة على الجوانب الاستراتيجية في ظروف الحرب بل لها أهميتها في الظروف الاقتصادية الاستراتيجية في الاتساع والتباين من مناخ، وتربة، وبناء الجيولوجي الذي يضمه الإتحادي السناري في الأقاليم الجغرافية المختلفة، فكل منطقة تنتج سلعة معينة، وتشكل ثروة اقتصادية متنوعة (المحاصيل، الحيوانات، المعادن). فالجزء الجنوبي يحوي مساحة واسعة من الأراضي السهلية، والجزء الشمالي مساحة واسعة من الصحراء يتعزز إختراقها لكنها تشكل حماية أقوى في الدفاع عنها من هجمات الأعداء، كما أدت سعة المساحة إلى التنوع في الإنتشار المكاني للسكان. ويمكن أن نشير للملامح عامة للتنوع في الموارد الاقتصادية بالمملكة السنارية في الآتي :

إقليم الفونج :

1. جبال فازوغي تنتج الذهب، كما أنها عبارة عن بيئة غنية بالغابات ؛ لأنها تقع في نطاق المطر الغزير الذي تتراوح كميته (1000-800 ملم) لذلك يذخر بالحياة البرية فهي

مصدر إقتصادي لعسلانحل، وجلود الحيوانات، والسياط، والبغال، وريش النعام، والعاج (سن الفيل).

2. سهول جزيرة سنار والبطانة: ثروة حيوانية متنوعة الأبقار، والإبل، والضأن، كما يوجد في الزراعة المطرية زرة الذرة للإكتفاء الذاتي، وكذلك الذرة يساهم في التجارة الداخلية، والخارجية، والإنتاج الغابي من ثمار، وصمغ، وأخشاب، أما الزراعة النيلية عن طريق الري لإنتاج القطن، والقمح والخضروات.

3. إقليم البحر الأحمر بيئة شبه صحراوية تمتاز بتربية الأبل، والزراعة في طوكر والقاش. **إقليم العبدلاب:**

الإقليم الشمالي به البيئة الصحراوية؛ لكن يمتاز الشريط النيلي الضيق بزراعة مروية من النيل بالساقية والشادوف، وينتج البلح، والقمح، والقطن، والفواكهة، والخضروات، كما يزرع الذرة بالإضافة لتربية الحيوان ويساهم في التجارة كل من البلح، والقمح، والشطة، والقطن. أدى هذا إلى إنتعاش التجارة، والصناعة.

نسبة للبيئة الطبيعية المتنوعة أدت إلى شهرة سنار التجارية، والصناعية، والتعدينية، أهم صادراتها الصمغ العربي، وريش النعام، والروائح، والذهب، والرقيق، وسن الفيل، والخرتيت، والزباد، والعسل والسياط، والجلود، والأبل. وهذا وفر لها عملة خارجية، وكذلك وفر إحتياجاتها الخارجية. في مقابل ذلك فأن الحجم الكبير للمملكة عاكس الإشراف المباشر لسيادة الدولة في كل أجزائها الواسعة في نهاية المملكة عندما ضعفت، ويتطلب ذلك خطوط إتصال كثيرة وسريعة لتمكن السلطة السياسية من القبض على ناصية الأمور لذلك ضعف نفوذها في أقاليمها الخارجية بسبب سياستها تجاه حكام الأقاليم الفدرالية، وبسبب اتساع البلاد، وصعوبة النقل، كان سلاطين الفونج لا يطلبون من زعماء القبائل غير الجزية، والخصوع الإسمي، فأصبحت الدولة غير قادرة على بسط نفوذها على تلك الأقاليم، وكان زعماء القبائل أصبحت لهم قوة مستقلة في بقاعهم، وقلعة الهدايا، والجزية التي كانت يدفعونها إلى ملوك سنار أمباطور وأصبحت خزنتها خاوية، مع خلو الخزينة كان جيش البلاد ضعف، وقل عدده لإعداداً قليلاً من الرقيق، وكانت المؤامرات بين الوزراء والسلاطين وأضاعت الشعور بالقومية للمملكة، ولا توجد وحدة للبلاد، ولا الأمن مستتب في البلاد كل قبيلة لها مشاكل جارتها، وتغزو ديارها، وتسلب أموالها. فيها تمرد العبدلاب وقتل زعيمهم عجيب الكافوته في معركة كركوج، وفي فترة بادى الثالث الأحمر 1662 - 1716م تم انفصال الشيايقية، كما كانت فترة الملك بادى ابو شلوخ ود نول 1724 - 1762 بداية ضعف ملوك

الفونج وبداية نفوذ الهمج بعد وفاة وزيره دوكا انفرد بالحكم وسلك سلوكاً آخر أغضب كباراء الفونج عليه، فقد قام بقتل الأنسواب وأستعان وغير وبدل كثير من القوانين فكانت مرحلة من التفكك والانحلال (31).

الشكل الطبيعي وعلاقته بالعمق الدفاعي للنطاق الأرضي للملكة السنارية:

الشكل الدائري أو المندمج يعد أكمل الأشكال الهندسية لأنه يحقق عدالة العلاقة بين المركز والهامش، ولا توجد على خريطة العالم شكلاً دائرياً، بل توجد أشكال مندوجة شبه دائرية والشكل المندمج مع العمق الدفاعي، ومركزية العاصمة تلعب دوراً متكاملاً في الوظيفة السياسية لدولة (20). لا توجد معازل أرضية للمملكة تشجع على النزاعات الانفصالية فجمال فازوغي وسلاسل البحر الأحمر لا تشكل عائق كبير في الحركة كما أنها ليست مناطق كثافة سكانية عالية تشكل خطر إذ ساعد شكل المملكة المندمج أنظر خريطة (1) في صهر المجتمعات، والشعوب الإقليمية داخل الدولة في شعب واحد، كما ذكر الرحالة أن سنار تشهد بأجواء من التحالف، والتسامح، والبعد عن التعصب الديني، أو العنصري، أو القبلي التي تسود كل أراضي السلطنة، وكان كرم الضيافة، والولائم الفاخرة (32). يتوفق صمود الدولة للغزو الخارجي من الدول المجاورة على عمق النطاق الأرضي للدولة هو الوسط الهندسي، أو الجغرافي الذي يجب أن تشغله مركز صناعة القرار السياسي (العاصمة)، وتنقسم الدولة لعدة أقسام تبعاً لعمقها الدفاعي بين 734-893 كلم تتمتع بعمق كبير، والكبير نسبياً 411-571 كلم (33).

تمتاز مدينة سنار بعمق كبير إذ تبعد عن الحدود في كل الاتجاهات عبر طرق النقل التي تتمثل في الأنهار أنظر خريطة (1).

تبرز أهمية قيمة العمق الدفاعي للدولة، أو محيطها الحدودي ويعبر عنها عن نصف قطر مساحة الدولة في شكلها الدائري في أستحالة غزوها سريع من الخارج، كما تبرز أهمية العمق الدفاعي للدولة في حالة غزو العدو للدولة إذا كان محيطها الحدودي القصير الناتج من قلة المساحة أو شكلها الطولي، ويكون موقع قريب من الحدود فيتم غزوها في سويغات مثل غزو العراق للكويت وأسرائيل للبنان، يمكن العمق الدفاعي الكبير الناتج من الشكل المندمج عدة إنتفاعات في الحرب، يباعد بين ميدان الحرب في المنطقة الحدودية من ناحية، ومركز القيادة، وصناعة القرار السياسي والحربي في المنطقة المركزية بالعاصمة السياسية، وبالتالي تتمكن الدولة من إدارة لمعركتها الدفاعية لصد عملية الغزو، كما حصل في الحرب الحبشية الأولى بدأت بسوء العلاقات في عهد بادي سيد القوم 1611م في شكل مناوشات على الحدود، لم يصلوا إلى عواصم الوحدات الإدارية في الحدود ورجعوا بغنائم بعد أن فر سكان المنطقة للداخل كما ذكر أعلاه.

عندما بدأت الحرب الحبشية الثانية 1744م في عهد اياسو الثاني بدأ الأقباش يغيرون على حدود مملكة سنار وكانت نتائجها فرار الأهالي، وغنائم من الماشية، والأبل، والغنم، سار اياسو على رأس جيش كبير من غندار متجهاً نحو المملكة، وكانت أوامره صارمة قتل الناس وأخذ جمالهم وماشيتهم وساروا (8 أيام) وهم ينفذون هذه الأوامر، وكانت أول مقاومة حادة على نهر الدندر حيث ثبت العربان المؤيدون لحكومة سنار حتى قطعت مواشيتهم النهر، وذكرت الروايات أن هنالك عوامل داخلية سمحت لملك الحبشة بتنظيم موجات دفاعية من الهجوم المضاد الذي نجح في الإستلاء على بعض الأراضي، وقرر ملك الحبشة الحرب على الفونج حتى وصول العاصمة، ويقال أنضم إليه عند نهر عطبرة بعض من قبائل الضباينة ونايل ودعجيب المنشق من السلطنة⁽³⁴⁾. وهذه إشارة إلى أن الحبشة أحد مصادر التهديد المحتمل للأمن القومي بتشجيع المعارضة الداخلية والحركات الانفصالية بالشكل الذي يهدد نظم الحكم القائم بينهما.

الأقباش تغلبوا على القبائل العربية وساروا في جيش كبير وصل النيل الأزرق قبالة سنار بالشرق، وبقية الجيش مازال شرقي الدندر، وبذلك أنقسم الجيش الحبشي إلى قسمين، ولكن سنار عندما رأت جيوش الأقباش قابلتها ساد الهرج، والمرج فيها، وكاد الملك أن يأمر بإخلاها لولا أن أشار خميس من عائلة فور على أن يعبر الجيش السناري شمال سنار، ويقاقل العد وهناك، ونفذت الخطة، وحصر الجيش في مثلث بين النيل الأزرق والدندر في محل يقال له الزاكيات ودحره، وعندما وصل الخبر لبقية الجيش الحبشي، قرروا أن لا سبيل لإنقاذ جيشهم المحصور⁽³⁵⁾ وهذه إشارة إلى أن الحبشة. قال كاتب الشونة⁽³⁶⁾. عندما علم بادي أبو شلوخ بجيش الحبشة بالقرب من سنار (طلب من جميع المراتب الدعاء وأرسل إلى المراتب البعدين وأشتد الكرب على المسلمين وجيش جيشه وأمر عليهم الأمين وأجتمعوا وساروا والتقوا بمحل يقال له الزاكيات) أن الملك بادي جمع جيوشه من المشاة والفرسان، وجعل عليه الأمين ود مسمار، وود عجيب شيخ قري قائداً عاماً، وجعل على الفرسان الشيخ محمد أبو الكيلك وتساحوا المشاة بالسيف، والحرب، ولبس الفرسان دروع الزرد، والبسوا الخيل، وأجتازوا النيل وأجتمعوا على خميس فور جيشاً واحد فالتقوا مع جيش الحبشة في منطقة الزاكيات شرق الدندر وأقتتلوا قتالاً شديداً فكان النصر لجيش سنار فغنموا غنائم كثيرة ونالت سنار بهذا النصر شهرة كبيرة حتى بلغت مصر، والشام، والحجاز، وآستانه، وتونس، والهند. كانت آخر محاولة تعمق فيها الجيش الحبشي في سنار .

كان مسار الجيش الغازي عبر نهر الدندر إلى المصب في النيل الأزرق يمثل عمق كبير مع الشكل المندمج، كما أن هذه المسافة على نهر الدندر تحفها المخاطر من غابات، ومستنقعات وحياة برية مفترسة (حظيرة الدندر)، كما أن السكن في هذه البئية غير مكلف حتى الآن (من حشائش المنطقة)، وهذه عوامل جغرافية استراتيجية ساعدت العمق الدفاعي الكبير للدولة مهما حرق، وقتل من القرى هنالك مشيخة الحمدة، وعاصمتها دبركي، ومشيختهم الثانية عتد مدخل النهر، هذه المشيخات الفدرالية إتبعنت سياسة الموقف الإخلائي لأقاليمها الهامة التي يهددها خطر الحرب وتجهير سكانها للمناطق الداخلية، أو المركزية، حتى لاتتعرض السياسة الدفاعية لضغوط ومساومات القوة المهاجمة على المجتمعات الهامشية المتأثرة بالحرب مباشرة ويتوفر لها المرونة الدفاعية دون ضغوط العدو على المناطق المدنية. ونخلص إلى أن العمق الدفاعي لمدينة سنار:

- ساعد على إتاحة الوقت الكافي لإستكمال العملية التعبوية لشن هجوم مضاد بتزايد فترة وصول الغزاة إلى المنطقة المركزية (مدينة سنار) كما ذكرها كاتب الشونة.
- ساعد العمق الدفاعي لمدينة سنار إنفاذ القدرة الهجومية على الاستمرار في التغلغل نحو الداخل في مقاومة الأقاليم الهامشية والخلفية والداخلية حيث ساروا (8) أيام وهم ينفذون هذه الأوامر وكانت أول مقاومة حادة على نهر الدندر حيث ثبت العربان المؤيدون لحكومة سنار حتى قطعت مواشيهم النهر، مكن من الهجوم المضاد للقوات الغازية من أجل التحرير وكان ذلك في منطقة الزاكيات بنهر الدندر التي تبعد عن مدينة سنار بالضفة الشرقية للنيل.
- ساعد العمق الدفاعي لمدينة سنار إخلاء المناطق وفرار الأهالي إلى الداخل.
- ساعد العمق الدفاعي لمدينة سنار إستنفار السكان لتجيش الجيوش، والخروج لملاقاة العدو بعيداً عن العاصمة؛ لأن للعواصم تأثيراً نفسياً على الشعوب، فسقوط العاصمة يؤدي إلى إشاعة اليأس بين السكان، خاصة إذا كانت العاصمة في موقع جغرافي متوسط وجيد كما ساد الهرج والمرج في مدينة سنار بقرب الجيش الغازي، ولهذا نجحت الفكرة في دحر العدو خارج العاصمة، مما كان له أثره الكبير في ضعضة العزيمة الحبشية وتقوية الإرادة السنارية.

اتجاه المملكة السنارية نحو توسيع عمقها الدفاعي:

سعوا بعض ملوك سنار للتوسع خارج الحدود بسبب ظهور بالمنطقة كثير من الأزمات، والحروب الخارجية، وكان هدفها الاستراتيجي هو زيادة فاعلية العمق الدفاعي في إدارة هذه الإزمات الإقليمية ولها أثر واضح في إتجاه المملكة نحو صناعة عمق دفاعي إضافي لمدينة سنار بالمنطقة الإقليمية المجاورة في

الغرب، ولذلك تغلغل نفوذها في إقليم كردفان بحكم الجوار من ناحية وبحكم إمتداد لوجود بعض شعوب إقليم كردفان بهذه المملكة ومحاصرة مملكة الفور المنافسة لها أنظر خريطة (1).

كانت حرب بادي أبو دقن (1643-1678م)، الذي اشتهر بالشجاعة، والكرم، والعفة، والتعبد وكان معظماً لأهل العلم والدين مكرماً لهم، وتمثل مرحلتة استقرار وتماسك نسبي وقدرة السلطنة على صد الأخطار الخارجية فحارب ملك تقلي⁽³⁷⁾.

غزا بادي الشك، وجبال تقلي بسبب المشكلات التجارية بين ملك تقلي فسأ لأحد التجار فسلب جميع أملاكه التجارية وتحدى ملك سنار أن يغزو مملكة تقلي⁽³⁸⁾.

بسبب المانع الطبيعي باجة (أم لماع) إستطاع بتكتيكة الحربي أن يتجاوز العقبة فانتصر عليهم، وكان ملك تقلي يتصف بمكارم أخلاق يقاتل بالنهار، ويكرمهم بالليل فعفاه ملك سنار مما بدر منه من مكارم الأخلاق، ويبدو إضافة لذلك شهرة بادي أبودقن السياسية المشتهرة بالشجاعة وسماحة خلقه لا يريد أن يواجهه مواجه حربية حقيقية؛ لذلك صالحه إلى جزية معلومة، وعاد إلى سنار، ومعه سبايا النوبة، وتقلي وجعل لكل منهم حلة معلومة حول سنار وأسكنهم بها، وصاروا من جملة جنوده وتنازلوا بتلك الحل؛ وبهذا أصبح لمدينة سنار أكبر عمق دفاعي من ناحية الغرب نسبة لضم مملكة تقلي في هذه الفترة.

عندما قويت شوكة الملك بادي أبو شلوخ بعد حرب الحبشة الثانية سمحت نفسة، بإمتداد ملكه غرباً أرسل جيشاً إلى كردفان بقيادة ود تومة، ومعه الشيخ عبدالله ود عجيب شيخ قري، وأخوه تمام والشيخ محمد أبو الكيلك كبير الهمج، وكان على مملكة المسبغات أقرباء سلاطين فور فالتقوا في مكان قحيف فهزمهم، وأعاد محمد أبو الكيلك الكرة مرة أخرى بعدما جمع جيشه، وأقتتلوا في مكان يقال له شمقته فقتل تمام ود عجيب، وإبنه العجيل، سر ملك سنار بقتال محمد أبو الكيلك، وعينه قائد عام للجيش وأعاد الكرة مرة أخرى، وأنتصر عليهم، وأخرجهم من كردفان في عام 1747م، وأقام فيها إلى عام 1761م ثم أخل بالمسبغات فعاد لسنار لعزل الملك بادي أبو شلوخ الذي أستبد برأيه بعد وفات وزيره الذي كان صاحب عزم، وتدبير أكسب المملكة شهرة⁽³⁹⁾.

هذه التوسعات أتت بمردود سريع في قوة عمق المملكة، فاستولت على مساحة واسعة في كردفان أما الحالة الأخيرة فتعرضت لمواقف حرجة في

صراعها نحو السيادة والسيطرة بسبب الفتن الداخلية مما أفقدها هذا العمق عن طريق إخلائه للمسببات إلى أن سقطت كردفان في يد الأتراك عام 1821م.

عوامل الجغرافية البشرية الاستراتيجية بالمملكة السنارية:

أن الأهمية الاستراتيجية للجغرافية البشرية هي الكيان الاقتصادي للدولة في المكون العام لقوتها السياسية، ويشكل الكيان الاستراتيجي للمملكة السنارية وفقاً للعوامل الطبيعية السابقة الذكر.

حجم السكان:

كلما كان عدد أفراد التجمع كبيراً ونشاطهم متنوع تشتد الحاجة لتنظيم مركب، كان الاعتقاد أن العدد الصغير لمجتمع ما يؤدي إلى تنظيم سياسي بسيط يعتمد على النسب والقرابة كالعشيرة، والقبيلة بينما يؤدي التكوين الكبير لمجتمع متجانس سلالياً، أو لغوياً، أو دينياً إلى تكوين الدولة عندما يصل هذا المجتمع إلى درجة معينة من المدنية العليا⁽⁴⁰⁾.

العدد الكبير للسكان قوة في المجالات العسكرية كما كان جيش عبدالله جماع قبل التحالف وصل إلى 07000 مقاتل، كما يعطي الحجم الكبير للسكان الدولة طاقات اقتصادية كثيرة في مجال إستغلال الموارد المتاحة ومجال التسويق، أكثر المناطق كثافة سكانية في المملكة هو الإقليم الحيوي الذي يسيطر عليه الفونج مباشرة وتقع فيه العاصمة، امتداد المعمور القومي وإنتظام كثافة الإنتشار البشري بهذا الإقليم الحيوي (جزيرة سنار وسهول البطانة) يعتبر درع وقاية وحماية للحروب كما حصل في حرب الحبشة الأولى والثانية كما ذكر أعلاه ودافع للتعمر وقت السلم والتنمية، أنقطة السكان غير المدافعة يساعد العدو في إختراع جزء من الدولة كما حصل في حرب الحبشة الثانية ساعد الجيش الغازي كمن قبيلة الضباينة التي ضد قبيلة الحمدة المناصرة لحكومة سنار، وكذلك إنضمت مجموعة نايل ودعحيب المتمردة، مما ساعد على العدو التوسع في المعمور وإتجة نحو نواة الدولة حتى تم إستنزاف العدو ودحرة.

استراتيجية إستغلال الأرض:

هنالك عوائق تظهر عند التنسيق بين الأغراض المتعددة لشغل تلك الأراضي والتنسيق بين أصحاب المصالح في كل قطعة أرض لذا توجد حاجة ماسة إلى تحسين طريقة التنسيق عند التعمر لذا يلزم استراتيجية التنوع بين الأغراض الخاصة بالإنتاج الزراعي للأرض .

لم تكن في عهد مملكة النوبة حقوق لتنظيم الملكية الأرض، فالفلاحون عبيداً لملوك النوبة أو من ينوب عنهم في المناطق البعيدة، ولم يكن للمزارع حق التصرف في الأراضي في البيع أو الشراء، وفي عهد الفونج السلطان هو المالك للأرض الذي يقوم باقطاعها للزعامات القبلية أو الدينية أو العسكرية بشروط وحجج معينة⁽⁴¹⁾.

بجانب ظهور الملكية الفردية للأراضي الزراعية ظهرت الملكية الجماعية في مناطق الرعي البعيدة، وبمثلما تعددت أنماط الملكية تعددت أنماط التشكيلة

الاقتصادية من نمط الإنتاج البدائي إلى نمط الإنتاج السلعي الصغير، وتبعاً لهذا التعدد تطورت التجارة الداخلية وتطور الإنتاج الزراعي البدائي بالإستقرار. أن المملكة السنارية سعت إلى نظام التنوع في الإنتاج الزراعي لتراعي المصلحة الفردية والجماعية، ومصلحة الدولة عبر توسيع رقعة المعمور بمساحة أوسع بالحصول على مركب إقتصادي متنوع من استخدامات الأرض، واستقرار العائلات في أماكن استقرارها، كان لابد من توفير الحاجات الأتية، وأتوفير المتطلبات الضرورية فخططت لاستخدام الأرض الزراعي فهي فكرة تقوم بها مجموعة من المجتمع المحلي الديمقراطي في أسلوب مرن يسهل تطويعه وفق الظروف المتاحة والميسرة، ويتطلب قدراً من التفكير الاستراتيجي أن كان لا توجد مراحل زمنية للخطّة، ولكن استخدمت خطط لكي يسهم العمل في نفع صاحبه، وتوفير الحاجات لكل المجتمع كان لابد من أن يتخصص كل فرد في العمل الذي يبدع فيه، ولديه القدرة على إنجازه، فزيادة الإنتاج (الثروة) يتوقف على وفرة عناصر الإنتاج، وأهمها عنصر العمل (القوة البشرية)، والذي يمثل العامل والمنظم والمستثمر للمال، والمالك للأرض، فالتحول من نموذج التنمية الإقطاعية بالتحوّل إلى التنمية الزراعية ثم الصناعية وهذا ينمي من القوة العاملة ويزيد من الكتلة السكانية للدولة وهذه استراتيجية لتنمية المكون الاجتماعي، والاقتصادي للدولة معاً مما ساهم في قوة الدولة. من الواضح أن هناك حاجة ماسة إلى التعمير الاستراتيجي للأماكن العمرانية حتى يمكن تخصيص أماكن للسكن، وأماكن حيازات زراعية مستدامة، وليس الهدف حل شكلي لمشكلة السكن للقبائل الوافدة بل أنه كان الهدف للروابط بين الأغراض المتباينة أي الوضع الفريد لكل مشروع اقتصادي سياسي إجتماعي مزاوله الاعمال الاقتصادية، والتواصل الاجتماعي وكانت النحو التالي:

- أرض الزراعة مطرية أونيلية.
- أرض المرعى لتربية الحيوان لا للزراعة فالمراعي مفتوحة لكل أبناء القبيلة. وهذا أسلوب يراعي المرعى محددة وأرض الزراعة محددة، وهذا يجنب صراع الموارد بين الزراع والراعاة، وهذه استراتيجية للاستقرار، والأمن الداخلي، ومسعاها أيضاً التنوع في الإنتاج بقصد التجارة كما ذكر أعلاه .
- الملكية الجماعية للأراضي الغابية تحت مسؤولية زعيم ديني، أوقبلي، فالغابات منفعة عامة للجماعة أو للقبيلة، يينتعفوا منها بإحتطاب، أوصيد، أوجمع للصمغ أو للثمار.
- لعدالة المكانية في خريطة الإستثمار التعديني والصيد البري وذلك بإستغلال المناطق غير المأهولة بالسكان في مناطق الجبال، والغابات في فازوغلي، والتعدين في صحراء البحر الأحمر والعمليات المرتبطة بالملاحة البحرية. المملكة السنارية أستمدت قوتها الاقتصادية أكثر من غنى شعوبها وفق استراتيجية الجغرافية البشرية الاستراتيجية، ويرجع لكبر حجم مواردها الاقتصادية مما كان كبر ناتجها الإقتصادي مقابل حجم السكان نسبة لبساطة حوجة السكان.

كان ملوك سنار كريمون يعطون الذهب بالمكيال والرقيق بالجنزير، وكانوا ملوكها يجمعون الزكاة والفطرة، والعشور على حسب ما يفرضها الشرع الاسلامي⁽⁴²⁾.

كان مالك الأرض يدفع أنواع مختلفة من الزكاة والضرائب للسلطان وأحكام الإقليم وقد كان هذا عادة متبعة في كل المناطق، تشكل الزراعة الأقتصاد الأساسي للمملكة السنارية لذلك أهتمت بخطة استراتيجية للزراعة مطري ونيلي، النيل ضيق وكذلك قصور وسائل الري والنطاق الريفي بعيد عن نهر النيل في المناطق التي تسمح الأمطار بإستقرار فردي يعتمد على الزراعة الموسمية، وتربية الحيوانات المنزلية، ونطاق بدوي في المناطق ضعيفة الأمطار، وبسبب الإزدهار التجاري في النصف الثاني من عمرها أخذوا التجار يدخلون في العمليات الزراعية نحو الاقتصاد النقدي، كانت التجارة مع مصر والجزيرة العربية، والهند، والصين وشرق وغرب وشمال أفريقيا، ويتدفق عليها ضرائب كثيرة من مرور التجارة؛ أدى إلى عملية التبادل التجاري بوفرة الإنتاج التي تتوقف على تبادل المنتجات وظهور الأسواق التي لها إتصال عبر طرق النقل بمدينة سنار كما ذكرها الرحالة، والانفتاح على العالم الخارجي. سنار عاصمة الفونج وملتقى الحضارة، والقوافل الحبشية، ودار فور، وفزان ثم تتجه القوافل منها إلى سواكن، كما ترتبط بأسواق بربر، وشندي، والتاكا وقد ذكر الرحالة أن مدينة شندي سوقاً رابحاً لتجارة الرقيق، ومركزاً حيوياً للتجار ووكلائهم تأتيها القوافل التجارية من مصر، ودارفور، وكردفان، وسنار، والحبشة، والمغرب، والجزيرة العربية، فأنعكست الوضعية التجارية على العملات النقدية المتداولة كوسائط للتبادل وجلها عملات مسكوكة من معادن الذهب، والفضة، والنحاس من فئتي الجنيه والريال أكثر العملات تداولاً⁽⁴³⁾.

إشتهرت سنار بالغنى والثروة وكان التجار يأتونها بالبضائع من مصر والحجاز والهند عن طريق النيل والبحر الأحمر، وكان يرد إليها من دنقلا التمر، ومن كردفان التبر، والحديد، والرقيق، ومن فازوغلي، والصعيد الذهب، والعسل، والجلود، والبغال، والسياط، والريش، والسمن، ومن سوق رأس الفيل من بلاد الحبشة على مسافة أربعة أيام من سنار يأتي منها الذهب، والخيول، والرقيق، والبن، والزباد، والعسل واساور العاج، وغيرها من حلى النساء، وكانت أهم صادراتها التجارية: الذهب، والرقيق، وسن الفيل والخريث، والزباد، والعسل، والجلود، والإبل، وكانت الصادرات أيضاً تشمل الصمغ العربي، وريش النعام والروائح، أما الواردات فتشمل: البهارات، الصابون، الروائح، السكر، والمنسوجات القطنية الفاخرة⁽⁴⁴⁾.

شكلت عوامل الجغرافية البشرية الاستراتيجية قوة الدولة السياسية مما جعل تيار الهجرة لايتوقف خاصة بظهور الحركة الدينية النشطة في التعليم الديني الذي أولى له السلاطين العناية والإهتمام به مما له الأثر الكبير في إسهاماتهم في استقرار الدولة عبر التعمير المتعدد المتمثل في الخدمات (الخلاوي والمدارس الدينية والمساجد وخدمات المياه والعلاج الشعبي) هذه استراتيجية توازن بين نجاح الدعوة لتخطيط ثقافي، واستقرار للمملكة، وكما أنها تمثل استراتيجية متكاملة بين الإدارة والشعب عبر رجال الدين في إشراك الأمن، والاستقرار، وتوفير أماكن تجمع بين العمل والمعيشة هذا تخصيص يتميز بالاستدامة ويحوي الجميع.

الخاتمة:

أن التاريخ قد صنع الأرضية المناسبة لولادة دولة قوية في سنار، فتيار الهجرة المستمر لعدة قرون أدت إلى عملية التزاوج والتصاهر مع السكان الأصليين الذي بدوره ساهم في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية تدريجياً حتي غير من ديمغرافية بلاد النوبة، كما دعم الشركين في الحكم عمارة دنقس وعبدالله جماع في تكوين أمة ساهمت في بناء الدولة واستقرارها، كما أن الشراكة أعطت الجغرافيا الإستراتيجية للمملكة من موقع، وحجم، وشكل للدولة، ودعمت كليا قوة المملكة وزيادة وزنها السياسي بموقعها المركزي بين العالم الإسلامي في الجزيرة العربية وشمال وغرب أفريقيا وهذا الموقع له دوره قوي تنمية القوة السياسية اقتصادية، وثقافياً في زيادة ثقلها المركزي وأعظم خصائص هذا الموقع الإنفتاح على البحر الأحمر، ومجاورة أهم المناطق الحيوية، وتعاضم المكون الاقتصادي بهذا الموقع المكان الذي يحتل أهمية ومكانة سياسية، أو عسكرية، أو اقتصادية، أو جميعها معاً على المستوى المحلي، أو الإقليمي، أو العالمي.

النتائج:

- توصلت الدراسة إلى أن هنالك عناصر أساسية للجغرافية الاستراتيجية المملكة السنارية ساعدت لقيامها واستمرارها هي:
1. هنالك رؤية استراتيجية تكاد تكون متشابه للقبائل العربية المهاجرة على بلاد النوبة قبل الالتقاء في مدينة أربجي 1504م لخلق أمة مقيمة بصفة دائمة بغض النظر عن الهجرة من أو إلى الدولة عبر التزاوج والتصاهر، ومن ثم نشر اللغة العربية، والثقافة الإسلامية؛ مما خلق بيئة جغرافية استراتيجية متنوعة، ومتوازنة بعد التحالف ساهمت في بناء مملكة قوية.
 2. الشراكة في حكم المملكة بين الفونج والعبدلاب؛ أدت إلى نشأة دولة متميزة في تحقيق حاجات المجتمع الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية وربطها بالعالم الخارجي الاسلامي والعربي بوفق استراتيجية تعتمد على جغرافية المكان الطبيعية، والبشرية.

3. الجغرافية الطبيعية (الموقع والمساحة والشكل) الاستراتيجية ساعدت الحكومة أن تضع خطط استراتيجية فخلقت فيها بيئة جغرافية متوائمة داخلياً، وإقليمياً عبر نظاماً إدارياً مميزاً مكن من بناء دولة قوية، وجعلها دامت أكثر من ثلاثة قرون.
4. موقع الوحدات الإدارية عند مداخل الأنهار ساهم في حماية الدولة من تغول الأعداء للداخل.
5. الحجم والشكل وموقع صناعة القرار في الوسط ساعد في تأمين العمل القومي بسهولة ويسر على الرغم من طول حدودها لم يتمكن العدو من السيطرة عليها كما حصل في الحرب الحبشية الأولى والثانية.
6. كبر مساحة المملكة السنارية التي تحدّها حدود متعارف عليها ساعدت على الاستقرار وهذه المساحة الممتدة تتنوع فيها المناخ والتربة ساهم في تنوع الإنتاج الذي أدى إلى بناء اقتصادي قوياً كان شكله في هذه الفترة ولكن هذه المساحة الواسعة عكست عدم الإشراف المباشرة عندما ضعفت المملكة كما ظهرت الحركات الانفصالية في القسم الشمالي منها إلى أن سقطت في يد الأتراك 1821م.
7. نظام النقل البري مرتبط بالعاصمة وبقية المدن ساهم في التجارة والأدارة كما أدت طرق الحركة داخل أراضي المملكة السنارية إلى ربط مدن الدولة وتماسكها.

التوصيات :

1. إجراء المزيد من الدراسات في الدراسات الاستراتيجية التي ساهمت في بناء مملكة قوية مثل (الإدارة الاستراتيجية والجغرافية العسكرية والتخطيط الإستراتيجي...).
2. إجراء المزيد من الدراسات من وثائق التملك في كيفية التخطيط لأرض المرعى وأرض الزراعة وأرض البور التي راعت فيها المملكة السنارية الزراعة المختلطة والدورة الزراعية في فترة لا توجد فيها تقنية وضعت فيها استراتيجية جنب صراع الموارد بين الرعاة والمزارعين، والتي هي من أكبر المشاكل التي تهدد الأمن القومي اليوم.
3. لابد من إجراء المزيد من البحوث للبحث عن الخدمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمراكز عمران وقيادات الوحدات الإدارية الهامشية على طول الحدود الطويلة التي ساهمت في إستقرار الدولة ثلاثة قرون وعدم تغول دول الجوار على إقطاع جزء من الحدود خاصة الحدود الشرقية التي تجاوز أقوى دولة ذات حكومة منظمة منذ القدم.

المصادر و المراجع:

- (1) صافي، عدنان(1999): الجغرافيا السياسية بين الماضي والحاضر، منشورات مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن. ص84.
- (2) بيير، سيلريية (1988): الجغرافيا السياسية والجغرافيا الإستراتيجية، ترجمة أحمد عبد الكريم، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق. 87.
- (3) حضرة، صديق أحمد(ب،ت): العرب – التاريخ الجزور(-1798 1918)، الجزء الأول، أنساب أهل السودان من مملكة أم درمان 545م وحتى سقوط المملكة، تصدير عون الشريف قاسم، تقديم محمد محجوب حضرة، الخرطوم . ص(196) .
- (4) شيقير، نعوم (1981): تاريخ السودان، تحقيق محمد إبراهيم أبو سليم، دار الجيل بيروت. ص73
- (5) محي الدين، محمد صالح(1973): مملكة العبدلاب وأثرها في حياة السودان السياسية، 1504-1821م، الدار السودانية للكتب، الخرطوم. ص78.
- (6) المرجع نفسه، ص(91).
- (7) الضيف، شوقي(1995): عصر الدول والإمارات، الجزائر(المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان)، دار المعارف، القاهرة . ص621
- (8) حسن ،يوسف فضل(2002): مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي 1450-1821م، معهد البحوث والدراسات الإسلامية، ط2، 2002م. ص(24)
- (9) محي الدين، محمد صالح، مرجع سابق ،، ص78.
- (10) مسعد، مصطفى محمد(2011م): الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، دار المصورات للنشر، الخرطوم . ص200.
- (11) حسن ،يوسف فضل، مرجع سابق ، ص24.
- (12) محي الدين، محمد صالح، مرجع سابق ،، ص92.
- (13) من الله، شيخ الدين يوسف(2012): الرفاعيون الأشراف في السودان، المكتبة الوطنية، الخرطوم. ص(227)
- (14) حضرة، صديق أحمد(ب،ت)، مرجع سابق ، ص(209).
- (15) طه، فدوى عبد الرحمن علي(2004): أستاذ الأجيال عبد الرحمن علي-1901 1969م بين التعليم والسياسة وأربجي، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم. ص417.
- (16) حضرة، صديق أحمد(ب،ت)، مرجع سابق ، ص196.
- (17) شيقير، نعوم(1981)، مرجع سابق ، ص98.
- (18) عثمان، تاج السر(2004): لمحات من تاريخ سلطنة الفونج الاجتماعي(-1504 1823)، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، الخرطوم. ص5.
- (19) آدم، أحمد عبد الله (2011): قبائل السودان نموذج التمازج والتعايش، شركة طابع السودان للعملة المحدودة، الخرطوم. ص51
- (20) شيقير، نعوم، مرجع سابق ، ص100.

- (21) آدم، أحمد عبدالله، مرجع سابق ، ص52.
- (22) مسعد، مصطفى محمد، مرجع سابق ، ص143.
- (23) حسين، أحمد الياس وآخرون(2013): سواكن الحضارة والتفاعلات العالمية، سلسلة ال100كتاب في الثقافة السودانية، هيئة الخرطوم للصحافة والنشر، المكتبة الوطنية، الخرطوم. ص109.
- (24) شبكية، مكي(1991): السودان عبر القرون ، دار الجيل، بيروت. ص79
- (25) سعيد، عبد المنعم(1987): العرب ودول الجوار، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان. ص39.
- (26) المرجع نفسه ، ص53.
- (27) شبكية، مكي(1991)، مرجع سابق ، ص70.
- (28) مكي شبكية (1964) ، مرجع سابق ، ص25.
- (29) رياض، محمد(2012): الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر، القاهرة. ص91.
- (30) مصيلحي، فتحي محمد(1992): خريطة القوى السياسية وتخطيط الأمن القومي بالشرق الأوسط والمنطقة العربية، جامعة المنوفية ، مصر، ص20
- (31) الزين، قيصر موسي(1998): فتره انتشار الاسلام والسلطنات (641-1821) مركز محمد بشير للدراسات السودانية، جامعة امدرمان الاهلية. ص51.
- (32) المرجع نفسه ، ص72.
- (33) مصيلحي، فتحي محمد ، مرجع سابق ص26.
- (34) شبكية، مكي(1991)، مرجع سابق ، ص83.
- (35) المرجع نفسه ، ص83
- (36) ابوعلي، احمد بن الحاج(1961): مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والادارة المصرية. تحقيق الشاطر بصيلي عبدالجليل، القاهرة. ص22.
- (37) الزين، قيصر موسي ÷ مرجع سابق ، ص51.
- (38) شيقير، نعوم، مرجع سابق ، ص104.
- (39) المرجع نفسه، ص109.
- (40) رياض، محمد(2012)، مرجع سابق ، ص95.
- (41) عثمان، تاج السر مرجع سابق، ص19.
- (42) الزين، قيصر موسي، مرجع سابق. ص73
- (43) حسين، أحمد الياس وآخرون، مرجع سابق ، ص206.
- (44) شيقير، نعوم، مرجع سابق ، ص127.